

علاء حامد



علاء حامد

تقديم

أنــا لم أرى الآله رؤية عين .. رغم هذا فقد رأيته وهو يُغدق عليَّ بمعانى السلام والحب والأمان أيام محنتى .. رأيته وأنا أدعوه أن يرفع الظلم عنى وعن ملايين البشر بعد ان طالهم مخلب بطش الحاكم وأنــياب الــنظام .. كل هذا حدث دون أن التقى به وجها لوجه حول منضدة اجتماعات أو داخل غرفة مغلقة أو حديقة قصر فيحاء بل كان اللقاء يتم فى بهو الضمير .

وهــذا مــا حــدث عــند لقائى بالرئيس .. لقاء نسجه التخيل والإلهــام والإبــداع ولــم تكن المرة الوحيدة فقد سبق ان حادثته فى مناســبات عــدة عندما تعرضت للتعذيب من زبانية النظام .. وعندما وقفت فى المحكمة متهما بإعمال العقل ومدانا بتحريك الفكر الآسن .. لكنها المرة الوحيدة التى سجلت فيها حديثى معه على ورق من داخل بهو الضمير .

أقول هذا حتى لا يتحول حديثى الصريح معه إلى حيثيات إتهام ضدى بالتطاول على ذات الحاكم المقدسة امام محكمة مأجورة تدينني أو إلى غرفة إعدام أو إلى حبل مقصلة .. عموما ربنا يستر .

آمالـــي عظيمة تفوق آمال كثير من البشر طموحاتي لا حصر لها أن أغير حـياة شعبي المستكين للظلم.. يقتاته صبحاً ومساءً في متواليات مقبحات العصر السبعة. الفقر .. البرسيم .. العصا .. الحمار .. المرعي .. القيد .. الكراهية..

الفقـــر أمره معروف للخاصة والعامة .. بنده الحاجة الملحة لحياة كريمة والعجـز عن الحصول عليها .. والبرسيم طعام مدعم يقدم في أكشاك التموين لا يغنـــي ولا يســـمن مـــن جوع .. والعصا يهش بها الحاكم غنمه وله فيها مآرب أخـــري الـــتحويش والتكبيش والتهويش .. والحمار مواطن مغلوب على أمره لا يملـــك قـــدره أمـــام نخـــس مؤلم بمسمار حاد .. والمرعي مساحات شاسعة من الأراضـــي الخضراء يرعى فيها أولاد الحاكم وتزيد عن حاجاتهم .. والقيد يتمثل فـــي توريـــث الحكم لفئة العسكر وأخيراً الكراهية التي عبقت وجدان الناس تجاه الحكم فحملت منه جنين العداء.

أحـــلام شـــتي داعبتنـــي أن يتغير الحال وأن نعيش الحرية وأن يتثاءب الـــناس بعـــد لـــيل طويل حالك الظلمة .. لكن تلك الأحلام كانت تموت في مهدها والنظام يُحكم قبضته على رقاب الناس .. بل يكاد أن يمنع عنهم الشهيق والزفير وتحولنا منَ سيئ الديكتاتورية إلي ما هو أسوء الفاشية بعد أن تم وضع عسكري بمدفـــع رشاش عند كل رأس جسر للتعددية .. وافترس الفزع الأنفس أن نقترب مـــن نقـــاط الديمقراطـــية خوفـــا من بطش السلطة وهي تهدد بالسجن والتشريد والاغتـــيال .. ولـــم يـــتوقف الأمر عند هذا الحد بل بدأ النظام يربي غول الفساد طعامه الأفسدة كلما تغذي ازدادت شراهته .. اقتنص ضحاياه من ودائع البسطاء فـــي البـــنوك وعائد خصخصة الشركات .. مصمصها .. التهم كل مضامينها حتى الأرض والجدران طحنها تحت ضروسه وهضم كل هذا بمعدة تطحن الزلط وبدأنا التقهقر رويداً رويداً إلي الوراء منكسرين منهزمين أمام جيش جرار من العاطلين والفقـــراء وأعـــداد رهيـــبة من المواليد.. فئران كل همها التناسل والإنجاب دون رادع .. إلي أن وصلنا في تقهقرنا لحافة الهاوية .. خطوة واحدة للخلف وننزلق إلـــي أسفل سافلين .. كل هذا ونحن نتساءل كيف وصلنا إلي هذا الحد من التدني والـــتخلف حـــتى أصبحنا قاب قوسين أو أدني من السقوط للهاوية ولم نعثر على إجابـــة لهـــذا السؤال المستحيل لا في الصحف ولا في الكتب ولا فيما نسمعه من متـــناثر أقـــوال المســـئولين الجوفـــاء .. الساحة باتت خاوية على عروشها من ملموســـات الحقـــائق إلا مـــن الكذب والتضليل فكل ما هو معروض في فترينات الإعلام كلام بايت سمعناه منذ خمسين عاماً وما زال يتردد حتى الآن عن الحرية والديمقراطـــية ومساعدة الطبقة الفقيرة مجرد كلام " لا يودي ولا يجيب ".. لكن الحقـــائق تتكلم في صراحة ووضوح أن الحرية مكبلة بالقيود والديمقراطية داية يركـــبها الحاكم والطبقة الفقيرة تزداد فقراً وتتزايد حاجتها لحياة كريمة وأن أكثر الـــوزراء حرامية مصاصي دماء لا يستطيعون البقاء على قيد الحياة إلا بمص دم المعدميـــن وأن المسئولين يغضون الطرف عن خطايا الفساد التي تكلف الإنسان العادي البسيط ثمناً باهظاً يدفعه من دخله المتواضع ومن حريته ومن إنسانيته.

أمـــام كل هذا الضباب الكثيف الذي يحجب عنا الحقائق وإزاء ما وصلنا إلـــيه مـــن مهانـــة وإذلال لـــم أجد ثمة وسيلة للعثور على إجابة شافية لكل تلك التســـاؤلات الحائـــرة سوي لقاء الرئيس ربما بعدها تهدأ هواجسي ولا أقدم على الخطـــوة التي ترددت في تنفيذها وأنا أري مجتمعنا ينهار ويتقوقع وينطوي.. لم

يكن أمامي لتحقيق رغبة لقائه سوي أن أكتب له .. كتبت مائة رسالة كنت أرسل يوميا ثلاثة رسائل دون جدوى فلم يصلني رد واحد ولو حتى كلمه واحدة " آسفين " " متعذر " "ممنوع " " مرفوض " قررت أن أسلك سبيلا آخر لتحقيق غايتي كتبت مقالا لصحيفة الوفد أطلب في آخره مقابلة الرئيس.. رفضه رئيس التحرير رغم إعجابه بمضمونه .. أما رئيس تحرير الأهالي فقد سخر منى قائلا " عشم إبليس في الجنة فإذا كان لقاء رئيس الحزب بالقيادة من المحرمات فلقائك بها من المستحيلات " !! لم يفت هذا في عضد إرادتي حملت للأهرام مسطور إعلان أطلب في نهايته لقاء الرئيس وكانت الطامة الكبرى صدرت الأوامر للأمن باستبقائي داخل صالة الإعلانات ولم أتحرر إلا بعد تمزيق الإعلان.. توجهت بعدها للأخبار ووجهت بنفس الرفض.

رغم كل هذه الصعوبات لم يمتلكني اليأس.. لم أفقد هدفي في نفقه المظلم .. في جلسة جمعتني وصديقي المستشار " صهيل " زميل دراستي وبعد أن شرحت له الموقف وإبعاده بتفاصيلها المملة .. ابتسم متمتما:

- وعايز مني رقم التليفون !!

تنفست الصعداء وأنا أهمهم:

- لن أنسي لك هذا الصنيع.

وبعد أن أملاه على تمتم محذرا:

- أنا لا عرفتك ولا شفتك.

في اليوم التالي قلت أجرب .. يمكن تكون النبرة فشنك .. أدرت قرص التليفون بعدها تهادي إلي صوت الرئيس نضرا .. قويا.. تلاحقت أنفاسي تعثرت الكلمات على لساني .. ممسوكة أو مخنوقة وأنا أسمع صوته للمرة الثانية:

- آلو .. آلو .. مين؟

بعدها وضعت السماعة .. انغلق الخط.

مرت ساعة زمن استعدت خلالها أبعاضي المبعثرة وأقمت تحصيناتي الدفاعية .. طلبت الرقم من جديد فور أن سمعت صوت الرئيس تهادت كلماتي بحميمية:

- سلامتك ياريس.
- مين معاي؟
- أنا ضمير.
- ويطلع مين ضمير؟ الاسم غريب.
- هو الضمير بقي غريب يا ريس .

في تلك اللحظة رد على غاضبا:

- إحنا هنلعب.
- العفو يا ريس سيادتك الحاكم وأنا المظلوم.
- إنت مين وعايز إيه؟
- واحد بيحبك وعايزك تسمعه.

هدأت نبرة غضبه وحدة صوته وهو يسألني:

- خير.
- جواي كلام كثير عايز أقوله.
- قول أتكلم.

- لازم يكون في مواجهتك.
- ليه .. ما انا سامعك.
- عايز أشبع من رؤيتك.

ضحك الرئيس .. انفرجت أسارير كلماته:

- كلام ولا الغزل.
- حتى كلمات الغزل لا تكفي يا ريس.
- إنت حرارتك كام.
- ألف فرنهايت عشق.
- كل دا ليه!
- عشان بحبك.
- كلام لا يودي ولا يجيب.
- والمفيد يا ريس.
- ابعت فاكس أو خطاب بطلباتك.
- أرسلت مائة رسالة ولم يصلني رد واحد.
- ولا واحدة وصلتني.
- مسجلة يا ريس .. مسجلة!!
- قل لي على مشكلتك.
- مشكلتي إني عايز أقابلك.
- وهي دي مشكلة.
- وعويصة يا ريس.
- نحاول حلها.

سكت .. عاد مستطرداً:

- لكن قل لي عرفت رقمي الخصوصي إزاي ؟!
- بالإصرار يا ريس.
- أنا سألتك عرفته من مين.
- سرّ وعدت صاحبه أن لا أفشيه.
- وأنا أحيي فيك الأمانة.
- يبقي أكيد نجحت في الامتحان!!
- قبل ما أحط الدرجة النهائية تجاوبني على كام سؤال.
- تحت أمر أسئلتك كلها.
- سيبك بقي من الكلام الخايب وقل لي بصراحة على مرامك من لقائي.
- خايف الصراحة تبعدني عن مقابلتك.
- هتغني!
- كلامي مش أغاني يا ريس.
- خلصني وقولي عن سبب لقائك بي.
- سبب ظاهر والثاني مستتر.
- الظاهر؟
- قلته قبل كدة .. عايز أشبع من رؤيتك.
- والمستتر؟
- خللي الطابق مستور.

- كلام غامض!
- إقبله على علاتة لغاية ما نتقابل.
- أنت واثق من نفسك قوي.
- سيادتك اللي أوحيت لي بهذه الثقة.
- أي واحد يسمعك يستشف من كلامك إنك ناشط سياسي.
- ناشط سياسي في بلد محرومة من الحرية.
- ولا لك خلفية سياسية " إخواني " " شيوعي "؟
- تيارات عفي عليها الزمن.
- كده إنت نجحت في الامتحان.
- والميعاد يا ريس؟
- اتصل بسكرتيري الخصوصي.

وقبل أن أهم بالاعتراض على هذه الوسيلة الغير مجدية استطرد الرئيس قائلاً:

- أهو معاك على التليفون.

وتحدد يوم الثلاثاء الساعة الحادية عشر صباحاً ميعاد لقائي بالرئيس.

بعد ثماني وأربعين ساعة توقفت أمام منزلي سيارة فارهة سوداء تحمل أرقام ثلاث سبعات ملاكي القاهرة .. بعد توقفها هبط منها رجلان صعدا إلي شقتي .. لم تمر سوي لحظات قليلة حتى دق جرس الباب فور أن فتحته رأيت أمامي شحط طويل عريض المنكبين مثل باب جراج قمته سوداء .. دهشت وهو يطلب مني في استعلاء النزول للتوجه لرئاسة الجمهورية ... أفرزت دهشتي في سؤالي:

- لكن الميعاد بكرة!
- كان واتغير للنهاردة.

هزرت رأسي ما بين مصدق ومكذب وهو يستطرد قائلاً:

- السيارة في انتظارك أسفل العمارة.

أنستني فرحة اللقا بالرئيس كل شكوكي وأنا اقتحم حجرة النوم.. زوجتي نائمة أيقظتها كلماتي الواثقة:

- أنا رايح أقابل الريس.

سألتني في دهشة:

- كان الميعاد بكرة .. إيه اللي غيره!

سكتت عادت مستطردة:

- خايفة عليك.. ناس لا لهم عهد ولا أمان.
- يا شيخة بلاش سوء الظن دا.

أسرعت إلي الدولاب التقط البذلة الأنيقة التي اشتريتها خصيصاً لهذه المناسبة النادرة وكرافت مزهزهة متداخلة ألوانه .. ارتديت أشيائي على عجل .. تجهزت.. لم أنسي أن أتشق وجهي بالكولونيا .. أسرعت هابطا السلالم .. طائر الفرحة يغرد داخلي وأنا استقل السيارة فوجئت بجثتي محشورة بين أثنين على الأريكة الخلفية.. أقلعت السيارة وأنا أسأل نفسي في ضيق مكتوم " هو دا منظر واحد رايح يقابل الريس " السيارة تتهادى في الطريق عبر كوبري الملك الصالح

إلي شارع صلاح سالم .. اشتممت رائحة كريهة وهي تتجه يميناً .. تسلك طريق المقطم تزايدت بشاعة الرائحة وأنا أسأل في دهشة:
- رايحين على فين؟!
رد متحدثهم في سخرية:
- بنختصر الطريق.
- من سكة المقطم!!
- كلها سكك .. المهم توصلك بالسلامة.
- توصلني على فين !
- عايز الصراحة وللا بنت عمها.
- إيه حكايتكم بالضبط ؟!
- ولا حكاية ولا رواية..همة سكتين سكة السلامة وسكة الندامة اختار لـك أي سكة.
أعقب ذلك ضحكة طويلة منفرة.. سألته ساخطاً متبرماً وقد بدأ الفأر يلعب في عبي:
- انتم مين وعايزين إيه؟!
- إحنا أصحابك ومن اللحظة دي إنت ضيفنا.
- لو الريس عرف اللي بيحصل هيسوّد عيشتكم.
- وهيعرف منين.
بدأ الشك ينشب مخالبه في وجداني وأنا أجيبه:
- مني طبعاً.
- دا لو شفته تاني.
انقبض قلبي .. تاهت مفاهيمي .. تآكلت معالم نفسي .. " أنـا ميـت .. ميت يا ولدي " تناوبت على نوبات الغضب ضد النظام..المسئولين..الريس..لا..لا يمكن أن يكون طرفاً في مؤامرة دنيئة تنتهي معها حياتي ومع ذلك فقد سمحت ثغرات نظامه بهذا العبث .. إنها في النهاية مسئوليته .. تملكني الخوف.. ارتجفت أوصالي .. ربما رضا هلال آخر يدفن في حفرة بالمقطم تقام عليها عمارة .. عتاب مر قاسي لنفسي وداخلي يردد " كان لازم أعرف أن الريس لا بيقابل حد ولا بيسمع لصوت حد كلها شعارات زائفة لماذا ركبت تلك المخاطرة؟"
تذكرت " إنجي " زوجة صديقي "ريدي" عندما أصم المسئولون عن سماع اتهامها بوقائع فساد لبعض رؤسائها في البنك الذي تعمل فيه .. فلجأت للإدعاء بمعرفتها تفاصيل مؤامرة على حياة الرئيس وكانت الطامة الكبرى .. لم يصدقوا دافعها الكشف عن الفساد وحاولوا نزع اعتراف منها.. أودعوها في زنزانة تطفح بالمجاري تنام فيها واقفة .. فإذا أغفت لحظة تنهش جسدها الفئران .. وخرجت من المحنة وشما في ظهرها !! لتقابلها محنة أخري أشد وأقسى فقد أستلب التعذيب إنسانيتها وفقدت ذاكرتها .. نسيت نفسها .. أسمها وجنسها. هامت في الشوارع وهي تحاول إقناع الناس بهدفها النبيل..تذكرت كل ذلك والسيارة تسير في شوارع مظلمة .. خالية من الأنس والجن .. أحاول إلقاء اللوم على نفسي بقسوة .. كنت أستطيع أن أنفذ ما أريده دون أن التقي بالرئيس ودون أن أتورط في هذا المأزق وأنا أسير بقدمي لحتفي .. كان عليّ أن أفهم أن لقاء الرئيس بأحد المواطنين مستحيل لأنه سيكشف له عن وجه المجتمع القبيح

الذي يزينه له معاونوه بالمكياج والمساحيق .. فالدنيا ربيع والمشكلة كامنة فيهم أي في الناس فهم يتوالدون كالجرذان..

مضغت كل تلك الهواجس والسيارة تتوقف بي أمام فيلا فخيمة .. هبطت مــن السيارة ويد القميء تتأبط ذراعي إلي داخل الفيلا .. تركني القميء للحظات قصــيرة إلــي حجــرة طرق بابها .. دخل .. عاد إلي من جديد يتأبط ذراعي إلي دواخل الحجرة .. استقبلني رجل مهيب في ود وترحاب .. طلب مني في استحياء أن أجلس .. دق الجرس.. دخل ساعي .. سألني المهيب:

- تشرب ساقع ولا سخن؟

رددت عليه في ضيق مكتوم:

- أحب أعرف الأول أنا هنا ليه؟
- أشرب وبعدين نتفاهم.

أشار إلي الساعي همهم:

- عصير جوافة يا ساهر.

عصــير جوافــة! .. سنتك سوده يا ضمير رحت في أبو نكله .. لقد تذكرت على الفــور عصير جوافة عبد الحكيم المسمم .. تخايلت على اللحظات التي سأمر بها وأنــا أتعذب قبل أن اصبح جثة هامدة .. انكمشت في مقعدي وساهر يدخل وبيده صينية فوق سطحها كأس العصير والمهيب يحثني في نبرة تآمرية:

- إشرب .. إشرب!!

أمواج الشك تلطمني وأنا أتأمل كأس العصير والمهيب من جديد يلح على قائلاً:

- إشرب دا عصير جوافة فريش.
- ما هو كان فريش!!

تــزايد خفقــان قلبي .. خلت أن المهيب يسمعه .. ظهر التردد على ملامحي وأنا أبعد الصينية عن متناول يدي والمهيب يسألني في استرابه:

- إنت فاكر أنه مسمم؟
- لا أبداً .. أصل أنا عندي حساسية ضد الجوافة.
- تبقي عايز قهوة مضبوط.
- لا مضبوط ولا سادة .. كل اللي أنا عايز أعرفه أنا هنا ليه.

أعتدل المهيب في جلسته .. رمقني بنظرة ثاقبة خلت إنها ثقبت مكنوني رد علي قائلا:

- كل ما في الأمر بعض أسئلة روتينية أريد منك الإجابة عليها.

سكت وكأنه يحاول استكشاف دواخلي .. سألني فجأة:

- إنت عايز تقابل الريس ليه؟

تملكني الزهو وربما قليل من الغرور وأنا أجيبه في صلف:

- ودخل سيادتك إيه .. هو أنا لما حددت معاه الميعاد كنت طرف.
- بالهداوة يا أخ ضمير .. دى مجرد إجراءات أمنية.
- ممكن تسأله هو أدري مني.
- إنت هنا قدامي عشان أعرف منك سبب الزيارة.
- لو الريس عرف عمايلكم معاي هيكون الحساب عسير.

أخــرج المهيــب ملفاً من مكتبه بداخله ورقة واحدة .. شهره في وجهي قال في غضب جامح:

- شايف الملف دا جواه ورقة واحدة .. ممكن تبقي ورقتين .. ثلاثة .. عشرة .. ساعتها لا تشوف الريس ولا تكلمه.

إنه صادق في تهديده .. يعملها .. تراجعت تسعين درجـة وأنـا أرد عليـه فـي تخاذل:

- طلبت لقائه عشان بحبه.
- عبيط ولا شكلك كده؟!
- هو فيه سبب للقاء الريس أقوي من الحب.
- يا أخينا أنا لا بحب اللف ولا الدوران.

ساعتين في جدل عقيم .. صارحته بالحقيقة كاملة دون أن تظهر على ملامحه أنه اقتنع بأسبابي .. دق الجرس دخل علينا الحارس القميء .. تأبط ذراعي من جديد .. انتابني الذعر والمهيب يشير إليه إشارة مبهمة برأسه المفلطح ترجمتها علـى الفور وهو يسحبني إلي ردهة طويلة.. إنه في الطريق لتصفيتي بدنيا .. داخلـي يردد"جالك الموت يا تارك الصلاة .. ربي إني أسألك رد القضاء لا اللطف فيه".. مرت لحظات كأنها دهر كامل وأنا أسير بجواره مثل فـرخ مـذبوح .. اخترقنـا الردهة صعدنا درجتين إلي حجرة فتح بابها دفعني في غلظة زاعقا:

- اتلقح هنا لغاية الصبح.

استيقظت على يد تهزني وصوت مبحوح:

- قوم إصحى.

أمامي رجل وخط الشيب سوالفه يتمتم لي في ود ظاهر:

- القطار جاهز.

سكت عاد مستطردا:

- لازم تجهز قبل الساعة عشرة.

قذف بي من جديد داخل بحر من الهواجس .. لقد حانت ساعة قصف عمـري .. سألته في تخاذل:

- وكمان حددتم ساعة دفني.
- دفن إيه يا أستاذ .. أنت نسيت ميعادك مع الريس.

حلقت بجناحي الأمل وأنا أردد في هوس:

- هو أنا صحيح هقابل الريس.
- كلها ساعتين زمن.

أفطرت .. أسرعت لارتداء بذلتي .. لم أعثر لها على أثر سـترة أخـري شـيك مكانها .. ارتديتها لم أكن أعرف أنها مجهزة بأجهزة تصنت. السـاعة العاشـرة كنت أستقل سيارة سوداء نامت هواجسي والسيارة تلهث في شارع صلاح سـالم .. الزجاج فيميه والتكييف شغال على أشدّه .. يا سلام على الأبهـة والعظمـة .. حسدت هؤلاء الناس الذين يستقلون مثل هذه السيارات الفارهة .. لقد أتوا علـى اللحم ولم يتركوا لنا سوي الشغت !! السيارة لا تسير على الأسفلت الأسـود بـل تطير .. تحملها طبقة من الهواء وربما طبقة زئبقية .. توقفت السيارة .. تنفست الصعداء .. في مواجهتي باب القصر .. مصفح مدجج بالعسكر .. لحظات انفتح

بعدهـــا الباب ضابط عظيم يستقبلني.. يرفع يده بالتحية وصوت أحد الجنود يعلو وأنا أعبر البوابة:

- حرس سلاح!!

صــفين مــن العسكر يؤدون التحية العسكرية .. ماذا يحدث .. أكيد فيه خطأ فأنا لســت سوي مواطنا عاديا .. مجرد ضمير فلماذا كل هذا الاحتفاء؟! أسئلة كثيرة ضــجت بهــا نفســي والضابط يصحبني عبر حدائق فيجاء تزينها قصارى زرع وتماثــيل وتحف من كل الأحجام والأشكال وأقفاص قرود ونسانيس وغزلان وربما بشــر بعد أن انمسخت .. أبطأت خطوي .. ما أراه فاق في روعته خيالي الجامح .. ثــراء جمالــي يعجز القلم عن وصفه .. ابتسمت وخاطرة تلوح على عقلي .. هذه هي الجنة التي يمكن أن يختارها الله لعباده الطيبين من أمثالي !! طال تأملي فــيما أري مــن بــذخ النعم .. أخذتني شردة طويلة الأمد عن ثراء هذه الحديقة الوارفــة الظــلال.. كــل ما فيها من نبت وشجر وورود وممرات يكاد ينطق بهذا الثراء !! سرت خلف الضابط العظيم من ممر إلي آخر حتى وصلنا إلي القصر .. تســمرت قدمــاي يــا هــول ما أري .. ربما تخدعني عينــاي .. أغمضتهما ولما فتحــتهما تأكدت أن ما أراه ليس خداع نظر .. فواجهة القصر تتلألأ ربما بالذهب الخــالص .. ربما بمعدن آخر أجهله .. لا أدري إلا أنني أمام تحفة رائعة مدخلها معــرق بالــرخام الأخضــر.. وسلالم طرزت أطرافها بنحاس منقوش.. ومشايات تغــوص فيها الأقدام .. تجرأت ودخلت القصر لا عين رأت ولا أذن سمعت .. لو أخبرنــي أحــد أن هــذا القصر سكن الإله لصدقته على الفور .. فخامة ووجاهة وثراء وجدران مثقلة باللوحات وتماثيل وتحف تزين الأركان وثريات معلقة يشكو السقف من ثقلها .. أعمدة رخامية مثل تلك التي نراها في معابد قدماء المصريين .. الأرضيات رخام أخضر مجزع فرشت بسجاد عجمي .. عجبي .. عندما وطئت قدمي أول سجادة صرخت مهددة " إقلع جزمتك " فور سماعي تلك العبارة توقفت .. خلعــت حذائي .. ضممته بيدي والضابط مندهش لتصرفي الأحمق يسألني في ضيق مكتوم:

- إيه اللي بتهببه دا ؟
- سمعتها .. السجادة بتتكلم عربي!!
- سمعت الرعد في ودانك .. البس الجزمة.
- إزاي وهي اللي طلبت مني أخلعها.
- عندها حق مين كان يصدق إن واحد زيك يمشي عليها.

لقــد انقلــب الرجل على انقلابة هائلة لا أعرف سببها هو لا يدرك ما أحمله من احترام وتبجيل للجمال .. فالسجادة لا يمكن لقدم حافي أن تطأها فما بالك بالحذاء وهــو أيضــا لا يعرف أنني من أبناء الفرن الحامي نقدس الأماكن فنخلع أحذيتنا عند عتبة الباب.. رأي ترددي في لبس الحذاء .. زعق للمرة الثانية:

- البس .. عايز تقابل الريس وانت حافي!
- فيها إيه!

شاط الرجل .. التقط الحذاء .. قذف به إلي صرخ من جديد:

- البس .. شكلك كده عايز تنضرب بيه بعد انتهاء الزيارة.
- هي فيها ضرب؟!
- ويمكن فتح دماغ.

صرخ من جديد:
- عايزني " أكنسل " المقابلة.
- بخ..بخ.

أكملت مسيرتي من البهو الواسع إلي آخر أقل وسعاً إلي ثالث أقل ضيقاً وأخيراً انتهينا إلي هول صغير مؤثث بصالون فاخم لا يمكن تسميته صالون بل لا بـد من اختراع اسم له يتناسب مع فخامته وقيمته.. ثالون بالثاء من الثراء.. أو ثامون كلمة تجمع بين الثراء "والمون" القمر .. ظلم أن نطلق عليه كلمة صالون الشعبية .. الضابط من جديد يهمهم في وقاحة:
- اتلقح هنا لغاية ما أطلبك.
- فين؟

لـم أكـن لأتصور أن يكون مكان جلستي أحد مقاعد الثامون لكنه أجابني بسرعة بديهة:
- على أي كرسي قدامك.
- قدامي فين؟
- إنت عميت!
- فعلاً أنا عميت لأن اللي أنا شايفه أي حاجة غير إنها توصف بالكرسي.
- بلاش فلسفة واترزي.

فعـلا اترزيـت لكـن فـي أحد الأركان بجوار مقعد وثير..في جلستي تلك ظللت أتحسـس المقعد كما أتحسس صدر عذراء في لذة ونهم وأنا أناجيه "يا حبيبي يا قرة عيني.. كيف أبدعت بهذه الفخامة ومن وضع فيك كل هذا الجمال وكم تكلفت ومن دفع ثمنك الباهظ؟! ".

مـر على قرفصتي بجوار المقعد ساعتان دون أن أستشعر ببادرة تنبئ عن قرب لقـاء الرئيس .. فجأة دخل عرفي.. د. عرفي متجهماً عيناه تطق شرار أسرعت بالنهوض لتحيته .. رمقني شذرا .. لم يصافح يدي الممتدة .. سألني بلا اكتراث:
- بتعمل إيه عندك؟!
- بقي مش عارف ؟!
- عارف إيه.. قدامي واحد لا شفته قبل كده ولا أعرفه.

حادثت نفسي .. يا واد لم الموضوع.. رددت علية في برود:
- جاي أقابل الريس.

ابتسم .. الابتسامة خبيثة .. مقلقة استطرد بعدها قائلاً:
- خير؟
- ثاني؟

قلتها في تبرم .. رد علي في ضيق مكتوم:
- هو كان فيه أول لما يبقي فيه ثاني؟!
- كان فيه وحياتك ثاني وثالث.
- معلهش انقل على الرابع عشان خاطري.
- جاي أقابله عشان بحبه.
- وهو دا سبب مقبول .. عندنا سبعين مليون واحد بيحبوه يبقوا يقابلوه!
- ما أنا ضمير الناس دي كلها.

- ولا حتي ضمير العالم كله.
- يا دكتور عرفي أنا متفق مع الريس .. الأمر منتهي.
- لو زي ما بتقول يبقي أنا أروح أقشر بصل.
- تقشر بصل .. تقشر ثوم .. إنت حر.
- لازم أعرف سبب المقابلة .. هي شخصية وللا عامة؟
- إللا هو انتم محفظين بعض.
حل الصمت .. طالت أحباله .. قطعها عرفي قائلاً:
- شكلك كدة مصمم تقابله.
- بعد اللي شفته منكم .. أيوه.
- هو انت لسه شفت حاجة.
- يا نهار أبوك أبيض بوية.
- قل لي على سبب واحد مقنع لمقابلة الريس.
- عايز أنصحه.
- قلت ماذا؟!
قالها مخضوضا:
- قلت انصحه.
- بتتكلم عن مين ؟
- عن الريس طبعا.
- هي هزلت!! أنت عارف في معيّته كام مستشار.
- بيخدعوه .. بيغشوه.
- اللا .. هتبتدى تخرف.
- مش تخريف .. لو كانوا صادقين معاه ما كانش دا يبقي حالنا.
- حالـنا ماله..زي القل..الناس بتاكل فول وطعمية وبصل وبالليل تفسي وإحنا نشم.
- بعد ما سديتم كل خرم ما بقاش قدامهم غير كده.
- أكيد مبلبع.
- الهم وحياتك زي كل الناس.
- طلعت لي منين يا أبو لسان زالف.
في تلك اللحظة تناهي إلي سمعي ضجيج .. أحدهم يدخل مهمهماً!
- الريس .. الريس.
أخيراً رأيته .. عيني عليه باردة.. وجه مشرب بالاحمرار من شرب الحلويات !! نهضت.. صافحني .. هل حقا ما أراه الرئيس بشحمه ولحمه.. مبهور .. راح مني الكلام .. نسيته وهو يتجه إلي مكتب يتصدر الحجرة يجلس خلفه .. يتملاني بعينين مستطلعتين .. شغوفتين .. يسألني في فضول :
- خير؟
نظرت إلي عرفي ثم إلي الرئيس .. النظرة كلها استجداء .. فهم الرئيس المعني والمغزي .. اشار لعرفي قائلا:
- سيبنا يا عرفي.
رد عليه معترضا:
- لكن يا ريس.

- انت سمعتني؟
عرقي يطأطئ رأسه المتبجح .. رأيتها متدلية بين كتفيه .. خرج غير مأسوف عليه طاردته أشباه كلمات الرئيس:
- واقفل الباب وراك.
فور أن أغلق عرقي الباب بادرني الرئيس بقولته:
- أهو بقينا لوحدنا .. اتكلم.
حاولت التماسك .. استعادة نفسي الهاربة مني وأنا أرد عليه متلعثماً:
- أتكلم إزاي يا ريس هو أنا قادر ألم على نفسي.
- ليه؟!!
- المفاجأة .. لآخر لحظة لم أكن أصدق أنني سأحظى بهذا الشرف العظيم.
- والآن؟!!
- أفضل حالاً.
أحس بما أعانيه .. بدأ معي حديثاً طويلاً عن أسرتي وأولادي وفي الوقت الذي كنت أجيب عن أسئلته بدأت أستعيد نفسي المبعثرة .. على هذا الحال مر الوقت .. لم أشعر بمروره تلاشت حصوات الرهبة من حائط إرادتي .. بدأت أحادث الرئيس كأي إنسان عادي. أسمع نكاته التي لم أفهمها وابتسم!! تعودت على الموقف وتأقلمت مع مجريات الحديث وحانت اللحظة الحقيقية وهو يسألني:
- إيه اللي فكرك بالريس؟
- كنت أريد الاطمئنان عليه.
- التليفزيون كان كفاية.
- الصوت غير الصورة الحقيقية.
- وبعد ما شفتني؟
- لو كان هذا السبب الوحيد يبقى أنا رجل مهفوف.
- أكيد عندك أسباب أخرى.
- خوفي أن يمسني مكروه.
- كلام فارغ.
- يعني مصر حتى لن أضار منها.
- إطلاقاً.
- هو موضوع واحد تسمح لي أتكلم عنه.
- مش محتاج إذن عشان تتكلم.
- لكن!!
- ماتلاحظش أنت هنا في أمان.
- هو موضوع شاغل الناس كلها.
- من غير مقدمات.
- إلى متى سيادتك في موقعك؟
- إلى أن يشاء الله.
- اسمح لي أقول لك هذا كلام غامض.
- شوف الناس وهي بتستقبلني عشان تعرف إن كلامي صح الصح.
- الناس اللي سيادتك بتشوفها هي اللي بتكنس بلاط السلطة.
- كلام غريب لأول مرة أسمعه من مواطن!
- عارف يا ريس سبب بلاوينا المسيحة.
- إذا عرف السبب بطل العجب.
- المحيطين بك.. أقصد معاونوك.

- شأنهم إيه في اللي بيجري.
- عملوا من البحر طحينة.
- إمال هو إيه؟
- هو ماء مالح لا يصلح للشرب.
- هات من الآخر.
- الناس قرفت .. عندها إحباط .. متضايقة.
- من نفسها .. طول ما هي قاعدة تخلف زي الأرانب.
- تواك ما افتكرت.
- ياما و ياما حذرتهم.
- مشكلتنا يا ريس إننا بنطنش قضايانا ولا ننتبه لها إلا بعد استفحالها وأولهم سيادتك".
- ماله سيادتي ما أنا هو زي الفل.
- زي الفل وعشرة .. لكن آن الأوان.
- أوان ماذا يا هذا.
- أوان الرحيل!!
- اتخبلت .. عايز تخربها وتقعد على تلها.
- هي طريقة واحدة للإنقاذ.
- مستحيل وعندي خططي .. ابني هو وريثي الشرعي.
- لكن سيادتك قلت بعظمة لسانك إنه لا توريث للحكم.
- فـــيه دستور وابني زي أي مواطن له حق ترشيح نفسه ولا يستطيع أحد أن يحجب عنه هذا الحق.
- لكن الدستور فاسد وفساده يسمح بالديكتاتورية.
- بلاش الكلام الضخم واتكلم على قدك.
- هي دي الحقيقة إن نظامنا أساسه دستور ديكتاتوري.
- لـــيه نقفـــز للمجهول .. مش جايز يكون حظ إبني أفضل من حظي في علاج مشاكل المجتمع.
- الكتاب باين من عنوانه!
- وعنوانه؟!
- فكره لم يقدم جديد .. بل اصابنا باليأس والإحباط في أول مهمة أوكلتها له.
- إزاي دا حصل ؟
- أولاً أعطـــي مـــا لا يملكـــه لمـــن لا يستحق وهو يبيح البناء على الأرض الزراعـــية وثانـــيا وهـــو يلغـــي بعض الأوامر العسكرية التي لا تمس حياة المواطـــن وأخيرا وهو يعدل مسميات بعض المحاكم .. وكلها أمور لا تدخل تحـــت عـــنوان الإصـــلاح السياســـي بل هي مجرد تغيير في أضلاع أشكال هندسية لكن مساحة الديكتاتورية كما هي.
- وماذا كنت تريد منه أن يفعل؟
- أن يتبـــنى إلغـــاء قوانين الطوارئ والمحاكم العسكرية وأمن الدولة وتعديل الدستور.
- أنت لا تطلب إصلاح حال الناس ..بل تنادي بزلزال يهز المجتمع من جذوره.
- يا سيدي ماعاد يصلح سياسة الخطوة خطوة.
- بل هي سياسة التغيير الآمن الذي لا يحمل مخاطر القفزات الحادة.
- لهذا أصبحتم في وادي والناس في وادي آخر.
- هي الناس عايزة إيه غير لقمة وهدمة وسكنة.

- لا يـــا ريـــس النـاس عايزة أكثر من مطالب البقاء على قيد الحياة .. الناس مطلبها الحرية.
- أظن لا يوجد بلد عربي فيه حرية مثلنا .. السعودية مثلاً .. همه فين وإحنا فين.
- عشـــان الفروق الحضارية بيننا .. إحنا بنطالب بالحرية وهمه مازال قدامهم ستين وستين.
- يا ضمير مطلبك ليس الحرية .. بل الفوضى.
- عايشـــنها يـــا ريس .. الفساد فوضي .. النهب فوضي.. حصانة المسئولين فوضـــي .. الـــثراء الفـــاحش والفقر المدقع فوضي .. تخصيص الأراضي والقصـــور للرؤســـاء وأولادهم فوضي.. البناء على الأرض الزراعية خلل يؤدي إلي فوضي .. كذب المسئولين على المواطنين غش وخداع ينتهي إلي تدعيم الفوضى.. تعذيب المواطن في أقسام الشرطة إخلال بحقوقه ولحد من أذرع إخطـــبوط الفوضى .. سجن الرأي فوضي .. حبس رئيس حزب دون مبرر قانوني أعلي مراتب الفوضى .. العجز عن تحديد مصير صحفي اختفى فجـــأة فوضـــي .. حـــبس الكـــتاب من أجل إبداعهم تأكيد لمراسم الفوضى الضـــارية أطنابها في المجتمع. هذه كلها أمثلة حية للفوضى أما أكثرها حدة فهو البقاء في منصب الرئيس لأقرب الأجلين الوفاة .. أو الوفاة.
- كده تبقي تحديت حدودك.
- عشان اختلفت معاك حول مفهوم الفوضى أبقي تحديت حدودي!
- لا لأن كل اللي ذكرته مشاكل طارئة تواجهها كل المجتمعات المتخلفة.
- لكن المشاكل دى أزمنت وتحولت بالتالي إلي وباء والوباء دون علاج يحدث فوضي.
- ما إحنا هو بنحاول.
- لإمتي؟!
- لغاية ما تنحل.
- دا إذا كان في الأفق بادرة واحدة على الحل.
- اتهام ظالم .. امال إحنا بنغير الحكومات ليه.
- لما يبقي الإطار فاسد يبقي حرث في البحر.
- في الجو في البحر .. هي دى إمكانياتنا .
- يـــا ريـــس لا بـــد لنا أن نتفق على ما يترسمه النظام من خطوط عريضة لتشكيل المستقبل.
- أنا سامعك.
- ولا بد أن نتعرف على هدف هذه الخطوط العريضة.
- اتكلم .. فقعت مرارتي .
- الهـــدف الأول لهـــذه الخطـــوط العريضة هو الحفاظ على الكرسي والهد ف الثاني تأمين الجالس على الكرسي بعد تركه لمنصبه بإحلال رئيس آخر تابع له.

ضحك الرئيس ـــ رد في سخرية:

- كل هذا لماذا؟؟!

- الأخطـاء جسيمة لو تكشفت لحدثت ردة ضد كل شخص تولي مسئولية هذا الوطن وليس بمستبعد أن تتم محاكمته كما حدث مع صدام.
- حتى لو استنتاجك صح .. فماذا بعد ؟
- بعد هذه تحديدها يعود إليك .. بادرة تقوم بها توقف جميع مظاهر الفوضي.
- محتاجه بلدوزر.
- والبلدوزر موجود لكن مدفون.
- فين هو دا ليمني عليه.
- إرادة الناس.
- سـيبك يقـي مـن الهجايص دي بلا إرادة بلا زفت .. فين هي إرادة الناس وهمـه مش قادرين يمسكوا عنه الخلفة .. الواحد من دول يخلف له عشرة وبعدين يقول الحقنا .. ما كان من الأول يا جحش عامنوّل.
- يمكـن أنـا متفق معاك أن المواطن الجائع يصبح فاقد الإرادة أمام الحصول على لقمة العيش.
- شفت . طلع كلامك كله فشنك.
- لكن ليس معني هذا أن الإرادة مستحيلة .. زي ما قلت لسيادتك أنها مدفونة وعشان تخرج لازم نحفر ونحفر.
- إنت ناوي تجيب حفار .. مش يمكن يطلّع بدل الإرادة جاز.
- يـا ريـس لا تسخر من حديثي فما أقصده أن إرادة الناس مدفونة وعشان تخـرجها لازم نحفر ونتعب لغاية ما نطلعها سليمة. والحفر اللي أقصده هو الديمقراطية.
- ياه .. دا أنت تعبتني قوي معاك.
- وهذا لن يتم إلا بمساعدة الدول الكبرى وخاصة أمريكا.
- الناس تكره أمريكا.
- لأنهـا تـنادي بدمقـرطة النظم الديكتاتورية أم لأنها تجتث جذور الإرهاب المتنامية في المجتمع المسلم؟!
- أنـت مـثل كثيرين غيرك موهوم في هدف أمريكا الذي لا يخرج عن كونه استعمار جديد للشعوب العربية.
- مـثل هـذا الكلام يصلح خطاباً في القرن ١٩ أو العشرين أما الآن فقد حل اسـتعمار جديد أكثر قسوة وأشد ضراوة وهو استعمار الأنظمة الديكتاتورية لشـعوبها .. الفـرق أن الاسـتعمار الأجنبي واضح سافر على كل مواطن مقاومـته أمـا الاستعمار الجديد فهو مستتر متخفي تحت ستار المواطنة .. فالمسـتعمر والمسـتعمَر يجمعهمـا وطن واحد مثل هذا الاستعمار سرطان ينتشـر فـي جسم المجتمع في سرعة رهيبة لا يفطن المريض لخطورته إلا بعد فترة طويلة يستشري خلالها المرض ليصبح البتر معه أمرا حتميا ولأن عملـية البـتر غير مأمونة العواقب فيجب أن تتم على يد جراح ماهر لديه دراية تامة بالمرض وأبعاده وآثاره.

قاطع الرئيس حديثي غاضبا:

- مقارنة ظالمة .. فكيف يتحول الحاكم إلي مستعمر غازي وهو ابن الوطن .. فرد من أفراده.

- يـا سـيدي الرئـيس في ظل العولمة والنظام الجديد وإرادة الشعوب لم يعد يوجـد مـا يسمي بالاستعمار الصريح .. بل صورته الآن الاستعمار المحلي وهـو مـا نـراه بأعيننا على الساحة فالاستعمار تغير مفهومة من استعمار مكاني إلي استعمار إرادة وهذا ما حدث في العراق وما يحدث الآن في معظم الـدول العربية إطاره بقاء الحكام في مناصبهم ضد إرادة الشعوب واستغلال تلـك الإرادة أو تطويقها أو حبسها. دلني على حاكم عربي واحد منتخب من شعبه .. دلني على حاكم واحد لا يحبس إرادة شعبه في قمقم.
- ابتديت تخرف يا ضمير .. كلام لا دليل عليه يوديك في ستين داهية.
- دع الحقائق تتكلم في بلدنا من خلال سؤال أين يذهب دخل قناة السويس من العملة الصعبة؟
- أحد بنود الصرف الأساسية على المواطن.
- هو فيه أصلا بند في الميزانية اسمه المواطن.
- قصدك إيه؟!
- اللي أقصده إن عائد قناة السويس يتم تخصيصه لرئاسة الجمهورية ووزارة الخارجية.
- لمّ لسانك يا ضمير أحسن والله أقطعه لك.
- آسف يا ريس .. أحيانا بياخدني الحماس والغيرة على الوطن وانسي تماما إنني أمام حاكم له على البشر حق الحياة والموت.
- أيـوه كـده صـلح أمورك واعرف مقامك.. برغوث ممكن أفعصه لو حاول يلدغ.

سكت عاد مستطرداً في تفاؤل غريب:

- عمومـا أنا ابتديت استريح لك ولصراحتك فلأول مرة أجد مواطناً يواجهني ولا ينافقني.
- تقصد أن معاونيك ينافقوك!
- ليس هذا بالضبط..لكن ربما لا يريدون إزعاجي بإثارة مشاكل هم أقدر على حلها.
- سؤال دائما يخطر على بالي وبال المواطنين .
- عن إيه؟
- مرتبك الذي لا يغني ولا يسمن من تكاليف الوظيفة.
- قلـتها بعظمـة لسانك..شوية ملاليم يحصل على أضعافها رئيس تحرير أي صحيفة قومية.
- لكن نسيت المخصصات الرئاسية البذخة.
- أولا هي ليست بذخه.. ثانيا هي تقليد متبع منذ الثورة المجيدة .
- بدون حدود قصوى؟!
- مش فاهم قصدك .. يعني إيه بدون حدود قصوى .. هي مصاريف ضرورية للرئاسـة لازم نصرفها وللا عايزنا نشحت .. إن ما تنفقه مؤسسة الرئاسة أقل بكثير مما تنفقه سيراليون .
- قصدك أقل من ميزانية سيراليون.
- كلام خايب لا يودي ولا يجيب

قالها الرئيس غاضبا محتدا.

- يا سيدي الرئيس إنني لا اقصد إغضابك فأنا أحبك !!
- يعنـــي نازل عليّ بكلامك الماسخ عمّال على بطّال وفي الآخر تقول لي بحبك .. يعمل إيه حبك في اللي بتقوله؟!
- الحب يغفر الذنوب جميعا.
- هات من الآخر.
- دكان الفساد تحول إلي سوبر ماركت يبيع كل مفرداته.
- إفتي فقد منحتك أمان الكلمة.
- معظـــم المســـئولين كوّشوا و كرّشوا وحوّشوا والرئاسة تغض الطرف عن فسادهم.
- كلام معمم يحتاج إلى تحديد وذكر وقائع فنحن لم نغض الطرف ولم نتسامح مع أي حرامي بل نقف لهم بالمرصاد والدليل على ذلك محاكمة وزيرين في وقت واحد.
- تم تبرئة أحدهما.
- هو القضاء وشأنه فنحن لا نتدخل في أمور القضاء .
- لكـــن القـــانون نفسه يسمح للحاكم العسكري والذي يمثله الرئيس بإلغاء أو تعديـــل أحكـــام محـــاكم أمن الدولة وهذا في حد ذاته يعتبر تدخلا في أعمال السلطة القضائية وإهدارا لمبدأ فصل السلطات.
- مثل هذا التدخل إذا حدث فهو استثنائي.
- بعـــد أن أصـــبح الاستثناء هو القاعدة العامة والعام هو الاستثناء بات تدخل السلطة التنفيذية في أعمال السلطة القضائية سافرا بدءا من الاتهام وانتهاء بالأحكام.
- إنقل على موضوع آخر فأنا أكره ترديد الببغاوات.
- نعود إلى البذخ الرئاسي.
- لقـــد أنكـــرت تمامـــا مثل هذا البذخ في معرض حديثي عن إنفاقات مؤسسة الرئاسة.
- ما رأيك إذن في المواكب التي تتبعك أثناء تنقلاتك.
- الغرض منها نبيل وهو تأمين حياتي.. أم أن لك رأيا آخر؟!
- حـــياتك نفـــتديها بدمنا وأرواحنا .. لكن لا يدخل فيها تعطيل مصالح الناس فـــتغلق شـــوارع بأكملهـــا ويجند الآلاف من رجال الشرطة مرصوصين مثل قوالح الذرة على الأرصفة والنواصي.
- مـــن ناحـــية تعطـــيل مصـــالح الناس فهذا القول مغالى فيه .. هي كام مرة بتحصل في السنة اثنين .. ثلاثة .. أربعة .. عشرة .. وبعدين انت نسيت إن الـــناس لا وراهـــا شـــغله ولا مشغلة أهي بتفرّج عن نفسها .. أما موضوع تجنـــيد رجال الشرطة لمثل هذه المهمات فهذا أفضل من نومهم داخل الخيام والمعسكرات!!
- لـــو كـــان الموضـــوع قاصر على مواكب الرئاسة كنا بلعنا شوكته لكن دي مواكب عشرات المسئولين والوزراء .. كل هذا من أجل ماذا؟!
- هؤلاء الذين تتحدث عنهم بسخرية هم من يوفرون لك الراحة والأمان ولقمة الخبز تقوم تستكتر حمايتهم من الدهماء !!
- ومصالح الناس ؟! .

- نعاقبه لأنه يمارس حقه المشروع في الجنس!!
- لا لأنه بيرتكب جريمة الإنجاب لأكثر من إثنين.
- إنت عايز تؤلب علينا الأزهر ورجال الدين والمتطرفين .. هي ناقصه !!
- ليه يا ريس هو أراء حفنة من الناس أهم من مصلحة المجموع.
- سـيهدمون المعبد علـى رؤوسنا ورؤوسهم وبعدين إنت نسيت نصوص الدستور التي تحرم ما تنادي به.
- نغير نصوص الدستور .. فإذا كانت حياتنا وحياة أولادنا معرضه لخطر داهم .. طوفـان قـادم فلماذا نتردد في مواجهته .. إننا كثيرا ما نفرض الوصاية علـى السـفيه وذي الغفلة لمنعه من القيام بتصرفات قد يضر بها نفسه أو مجتمعه مثله مثل هذا الرجل الذي ينجب أكثر من اثنين .. لذلك وجب علينا فرض الوصاية عليه طبقا للقاعدة الإسلامية " لا ضرر ولا ضرار ".
- سيقابل مثل هذا التعديل بعاصفة هوجاء.
- عاصـفة هوجـاء لأننا نلجأ لحلول غير تقليدية لمشكلة عويصة مزمنة لقد نفذت الصين عقوبة السجن على من ينجب أكثر من واحد أما نحن فيمكن أن نلجأ لحجب بعض خدمات الدولة من تعليم وصحة ودعم عن المولود الثالث كعقوبـة وفـي المقابل نحفز كل من يقتصر إنجابه على اثنين فأقل بمكافأة مجزية.
- وهل تظن أن هذا كافي لتحديد النسل.
- إذا لـم يجدي ذلك فيمكن الالتجاء للتعقيم الاختياري لفترة محدودة قد تطول أو تقصـر حسـب جسامة الضرر الواقع على المجتمع والذي يمكن تقييمه بعدد مرات الإنجاب.
- وهل تظن أن رجلا يوافق على تعقيمه اخيتارياً.
- نعم بالإعلان عن مكافأة مجزية.
- مكافأة لمن ..حيرتني!
- كثـير مـن الناس تبيع أو تتبرع بعضو من جسدها مثل الكلية أو فص من الكبد ولن يكون التعقيم الاختياري أسوء حالا خاصة إذا كان عرض المكافأة مغرياً يتجاوز عشرين ألف جنيه.
- تبقي عايز ميزانية دولة.
- بحسـبة بسـيطة لـن يتجاوز إجمالي ما يخصص من مكافآت عن ما تنفقه الدولـة على الزيادة الرهيبة في المواليد وعلى أي الأحوال فهو أفضل كثيراً مـن ترك الحبل على الغارب ونحن نتجه بكل ثقلنا نتيجة تزايد السكان إلى الانهيار.
- أفكار ثورية مصيرها الثلاجة أمام معارضة شعبية لن ترحم أحداً.
- يـا سيدي الرئيس لقد زج بفصائل السياسيين المختلفة في غياهب السجون وآخـرها مهـزلة رئيس أحد الأحزاب وقصفت أقلام الكتاب وصدرت أحكام قضائية على كل من حاول نقد ذات الحاكم المقدسة أو أهله أو حتى خدمه .. كـل هـذا مـن أجل الحفاظ على كرسي الحكم فإذا كان هذا هو الحادث مع السياسـي أو الكاتب الذي يؤمن بما يقول أو يكتب فماذا عن المواطن الذي يـتعمد الإضـرار بمجتمعه .. لماذا لا يقابل بالحسم وهو يخرب المجتمع .. لذلك فمن الضروري سن قانون للتعقيم الاختياري.

- غــيره .. اقفــل موضـــوع ضـــبط النسل بعد أن قتلناه بحثاً وانتقل بنا إلى موضوع أخر نصول فيه ونجول.
- التعليم يا ريس.
- أي مرحلة تعني ؟؟
- كافــه المراحل بدءاً بالابتدائي وانتهاء بالجامعة ومروراً بالإعدادي والثانوي .. كلهــا باتـــت حــبات مطوســـة في مسبحة الدين بعد أن أكل منها الدهر وشرب.. بحاجة إلى التلميع بصنفرة التحديث وربما الاستبدال.
- لمّع إن شاء الله حتى بورنيش البلاط !!
- هل تعرف سيدي الرئيس ما يعاني منه المجتمع اليوم؟!
- أعرف إنه مصاب بعدد من الأمراض.
- أقصد الحالة التي هو عليها.
- معلوماتي أنه يمر بحالة من الإحباط تسيطر عليه .
- الأدق هـــو حالـــة من الشوزفرنيا .. الحكومة في وادي والمواطن في وادي أخر.
- وعلاجها ؟!.
- لا يـــتم هـــذا إلا بالتوحد بأن تعبر الحكومة عن آمال وطموحات هذا الشعب ولـــن يتحقق هذا إلا بتفجير ينابيع روح الوطنية في الشباب وذلك بالتركيز على منجزات كفاح الشعب المصري.
- إنـــنا لـــم نـــتوانى عن ذلك وأفردنا صفحات لكفاحه ضد الاحتلال الفرنسي والإنجليزي.
- بل كان علينا أن نتناول كفاح الشعب المصري ضد العرب الغزاة.
- موضوع حساس لأننا نعتبر الإسلام فتحاً لا غزواً.
- لكـــن حقيقة الأمر أنه غزو .. فهل نمجد الغزاة ونشطب من التاريخ سطور كفـــاح الشـــعب المصـــري ضـــد هـــؤلاء الغزاة الذين لم يخرج هدفهم عن امتصـــاص رحيق الزهرة والتنكيل بالمصريين بدءاً من وشم رقابهم وانتهاء بتقصير ملابسهم ومروراً بفرض الجزية المؤلمة على جيوبهم.
- إزاي دا يحصل وأنا ماعرفش !!
- لأنـــه حدث قبل ميلاد سيادتك بأكثر من ألف عام لكن تم طمس سطوره من التاريخ.
- الحمد لله إنها لم تحدث في عهدي.
- لكن حدث في عهدك أحداث لا يكن السكوت عليها.
- كلام فارغ.
- واقعة قتل الجنرال بدوي ورفاقه التي تم طمسها.
- رغم أن هذه الواقعة لم تحدث في عهدي لكن أكمل !
- دون أن تغضب وتنزل بي أشد العقاب.
- هو فيه حاكم في الدنيا يقدر يعاقب الضمير.. تكلم.
- المواطن البور سعيدي قتل خطأ بأيدي الحراس وكان يحمل بيده شكوى !
- إنت كده خرفت.
- ابن المستشار قتله الحراس أمام بوابة القصر بناء على تعليمات.
- هل تتهمني بالتواطؤ؟!

- قطع لسان من يجرؤ على التفوه بذلك لكنني أسرد وقائع.
- غيره.
- لواء وابنه قتلا رغم أنهما استسلما عندما هاجمتهم قوات الشرطة.
- رايح على فين؟
- والصحفي رضا هلال الذي اختفى فجأة وكل أصابع الاتهام موجهة للشرطة.
- خلصت؟!
- واغتصاب الطفل المصري على فخذيي مدير التعليم السعودي تم احتواء مشكلته مجاملة للنظام السعودي.
- كان لتصرفنا أسبابه فالاحتجاج كان يعني طرد مليون مصري يعملون في السعودية.
- بل السبب الحقيقي أن الإنسان المصري فقد كرامته داخل بلده على يد جلاديه..وبره زي جوه.
- ما تشوف لنا موضوع آخر نتكلم فيه أهم من هذه السفاسف !!

سكت الرئيس عاد مستطردا:

- ألا تخاف مني ؟
- وهو فيه حد في البلد لا يخاف على مصيره من غضبة النظام.
- كيف تقول ذلك في عهدي أنا عهد التسامح ؟!
- يوه يا ريس إحنا سمعنا حواديت.
- وكمان حواديت!

قالها الرئيس متبرما.

- هم الملومون يا سيدي.
- همه مين ؟
- الحاشية التي حولت لك البحر طحينة.. دا أول هام.
- والثاني ؟!
- رجعوا الطحينة لبحر.
- كلام غير مفهوم.
- بل دائرة مفرغة وضعوا الشعب فيها.
- والمطلوب ؟
- حاسبهم هتلاقي بلاوي مسيحه.
- كلام غير مقنع.
- حتى تقتنع به عليك أن تختبر ولائهم.
- لو طلبت حياتهم لن يضنوا بها عليّ.
- كفاية تطلب من أي واحد فيهم فص كبد.
- لكن أنا صحتي بمب.
- يا ريس دا مجرد اختبار.

تفكر الرئيس قليلا .. قال وهو يهز رأسه تحتاً وفوقاً:

- والله فكرة .. ليه لأ.

سكت .. راح في شردة طويلة قال بعدها :

- لعبة تقوم فيها بدور دكتور.

دق الجرس دخل السكرتير " هاجر " قال له في حسم:

- شوف لي جهاز لتحديد فصيلة الدم.
لحظات وكان الجهاز في حوزتي .. سألني الرئيس:
- تعرف تستعمله؟
- استعمله واستعمل أبوه.
رفع سماعة التليفون تمتم:
- عرفي يا هاجر.
دخل عرفي .. الدكتور عرفي " فور دخوله " سحب الرئيس ورقه من درج مكتبه قال في لهجة جادة:
- إكتب هنا إقرار يا عرفي !!
التقط عرفي الورقة بيد مرتجفة .. سأل في دهشة:
- إقرار عن إيه يا ريس ؟
- إكتب .. إكتب .. أقر أنا .. إسمك بالكامل بأنني أوافق على التبرع بفص من كبدي..لو..
توقفت يد عرفي عن الكتابة .. نظر إلى .. ثم إلى الرئيس .. نظراته مستجديه قال في صوت صرصاري:
- معناته إيه دا ؟
- معناته إنك تتبرع بفص من كبدك لي.
- أنا حياتي كلها فداك لكن !!
- ما تلكنش يا عرفي واكتب الإقرار.
- مش مفروض قبل ما اكتب الإقرار يتم إجراء الفحوصات اللازمة يمكن فصيلة دمي لا تتوافق مع فصيلة دمك.
أشار الرئيس نحوي بيده قائلا !
- الفحوصات أمرها سهل.

استطرد بعدها في إصرار وتحدى:
- إكتب يا عرفي والفحوصات بعدين.
- أكتب إزاي دي مؤامرة.
نظر عرفي إلى نظرة غاضبة وأنا اتجه نحوه حاملاً الجهاز صرخ:
- أقعد مكانك .. أنت رايح فين ؟
استطرد بعدها وهو يحاول امتلاك زمام غضبه قائلاً في ذلة وانكسار:
- حياتنا ملكك يا ريس لكن أنا أعيش إزاي بفص واحد ؟!
- كل كبده يطلع لك فص ثاني.
ضحك الرئيس.. طوقني عرفي بنظراته قال بعدها وهو يشير إلى:
- أكيد هو اللي أشار عليك الشورة المهببة دي.
- دخلك إيه .. إنت تكتب الإقرار وبس.
- وإمتي العملية.
- فورا بعد إجراء الفحوصات الطبية .
- فورا .. يا خراب بيتك يا عرفي.
- انت هتندب.
- على الأقل أتصل بقرايبي.. أعد إجراءات الدفن.

- فيه وقت يا عرفي .. فيه وقت تقوم بكل الإجراءات.
- حاضر .. حاضر..إديني ساعة زمن اتصل فيها بمراتي وأولادي بعدها أكون جاهز.
قال ذلك .. اتجه إلى الباب وأنا أشمهم ساخراً:
- بعد ساعة واحدة هيكون في المطار .. نجرب غيره.

نقد التقط الرئيس الطعم إلا أنه يريد أن يثبت خطأ إستنتاجي وهو يتصل بأقـرب معاونيه " محمودي " ثم " درباله " ثم " صفوت العايق " توالي حضورهم الواحد تلو الآخر .. فور دخول محمودي وهو يلهث تساءل في لهفة:
- خير يا ريس ؟
- خد نفسك الأول.
- إنت عارف يا ريس حكم السن.
- عارف .. عارف يا محمودي.
سكت الرئيس عاد مستطرداً في حزن طاغ:
- الكونسلتو نصحني بزرع كبد.
- كبد ؟!
قالها محمودي مدهوشاً .. استطرد بعدها قائلاً:
- لكن عمري كله ما سمعت منك ولا من غيرك إنك اشتكيت من الكبد.
- واشتكيت.
- والمطلوب ؟
- نوع فصيلة دمك.
استراب محمودي .. سأل متشككاً.
- ليه يا ريس ؟
- إنت لماح يا محمودي.
- أد فهمت.
سكت عاد مستطرداً:
- لكن كبد راجل عجوز زيي تعمل بيه إيه .. إنت محتاج كبد طفل .. شاب.
- معنى كده إن إنت موافق.
- موافق علي إيه .. إننا نموت إحنا الاثنين.
- إتكلم عن نفسك.
- يا ريس إنت تهمني أكثر من نفسي.
- بلاش أونطه وجاوب عن سؤالي.
هز محمودي رأسه يمنة ويسرى قائلا :
- لا يا ريس كلام لا يوكل عيل ولا عصفور .. عن إذنك.
نهض .. اتجه ناحية الباب .. الرئيس يسأله قائلاً في حدة:
- رايح على فين ؟!
- أخرج من عش المجانين قبل ما اتجنن.
بعـد خروجه مباشرة دخل كمال درباله بكرشه الغليظ ينفخ مثل ثور في حلبة فور أن استقر بمقعدته الضخمة على الكرسي قال متنافقاً :
- أمر الريس لو لبن العصفور.

رد عليه الرئيس في سخرية:
- لبن العصفور رخص اليومين دول يا دربالة.
- لو لبن الملايكة.
- هو دا.
- رقبتي فداك يا ريس.
- قبل ما ندخل في الموضوع .. إنت اشتكيت قبل كده من الكبد.

صمت الرجل .. كل ما يشغله أن يعرف هدف الرئيس فليس معقولاً أن يستدعيه ليطرح مثل هذا السؤال التافه لابد وأن ورائه ما هو أعظم وربما أخطر .. عليه أن يتأنى في الرد طال الصمت .. سأله الرئيس من جديد:
- الإجابة يا كموله.
- ليه يا ريس هو سيادتك ناوي تعالجني على نفقة الدولة.
- لو حالتك تستدعي.
- أو تكون ناوي تحيلني على الاستيداع.
- ولا دي خطرت على بالي.
- يا ريس أنا عمرى ما اشتكيت من الكبد.
- وهي دي معلوماتي .. صحتك بمب.

درباله مازال غارقا في هواجسه والرئيس ينظر إليه نظرة متفحصة يستنهضه بكلماته:
- معده تهضم الزلط وكبدة البط الفرنساوي في نادي العاصمة.

ضحك الرئيس .. سايره " درباله " بضحكة تنافقية وبعد أن هدأت أشار لي الرئيس .. نهضت من مكاني اتجهت إليه في يدى الجهاز.. الرئيس يهمهم:
- صباعك يا كموله !!
- خير يا ريس.
- عشان نحدد فصيلة دمك.
- ليه ؟!
- مش أنت قلت من شويه أن كبدك سليم.
- وفيها إيه ؟
- رئيسك محتاج فص منه.
- بتقول ماذا ؟

انكفأ وجهه .. ضاعت ملامحه .. تحول لونه إلى رماد .. تغابي وهو يتساءل:
- محتاجه في إيه ما انت أهو قدامي زي الفل ؟!

الرئيس في حسم موجها حديثه لدرباله :
- مد صباعك يا " درباله " للدكتور.
- يا ريس أمد صباعي إزاي وأنا مريض بسيولة في الدم سرعان ما يغمي عليّ لو نزفت نقطة دم واحدة.
- معناته إيه الكلام دا ؟!
- معناته أنه مستحيل .. مستحيل يا ريس.
- بتضن عليّ بحتة من كبدك يا درباله.
- صدقني لن يفيدك.

- يــا خســارة .. كبرت من وراي وانت عمال تبني مملكة شيل بالكوم طوبة فساد وطوبة هباب ولما احتجتك تتخلى عني.
- ليه سوء الظن دا يا ريس .. أنا كلي على بعضي ملكك.
- كلام لكن وقت الجد فركش.
- ما تزعلش يا ريس إحنا ممكن نحل المشكلة بأسلوب تاني خالص.
- إزاي ؟
- ننقي ولد صغار لا يتعدي العشر سنين.
- هــنعمل إيــه .. هنصــدمه بعربية وننقله لمستشفي ونأخذ كبده وللاّ نذبحه ونقول قضاء وقدر!!
- لا يا ريس .. نتفق مع أهل الولد.
- على إيه ؟
- على الصح.
- أي صح ؟
- اللي عادة الناس بتعمله.
- أنهي ناس؟
- مــا سمعتش عن الناس اللي بتبيع عيالها..أؤكد لك أننا لن نعجز عن شراء واحد.
- كل دا عشان تهرب من التضحية من أجلي يا درباله.
- أبــدا مــش هرب .. لكن زرع فص من كبدي لك ميئوس منه فلماذا تخاطر وأمامنا حلول مضمونة .
نهض الرئيس .. صرخ غاضباً:
- بره .. بره مش عايز أشوفك بعد النهارده.
خــرج درباله مسرعاً منكس الرأس وكأنه ولد من جديد.. كان صفوت العايق هو الــرابع فـــي ســبحة الانتظار .. فور دخوله بدأ يتملاني .. لا يعرفني .. شخص غريــب لــم يــره قبلا .. منذ دخوله عرين الأسد وهو يعيش لحظات تخمين عما يخبـئه له القدر والرئيس يطلب منه الجلوس .. مرت فترة صمت قصيرة قبل أن يوجّه له الرئيس سؤاله:
- تشرب إيه ؟
- أنا مش ضيف يا ريس .. أفضّل تدخل في الموضوع.
- دا أنت جاي حامي ..
- ماخبيش عليك أنا قلقت.. هاجر نشّف دمي.
- افتكرت إيه ..انقلاب ؟
- اكــتر يــا ريس .. واحد من المهاويس أصابك بسوء .. ربنا يطوّل لنا في عمرك.
- شكله كده لا هيطوّل ولا يعمر.
وقف العايق في حركة تمثيلية بارعة .. أعقبها بكلمات أقرب إلى الصراخ:
- ياخد عدوك.
- هي دي الحقيقة الظاهر إن أيامي معدودة .. عشان كده إنت معاي.

تنازعــت العــايق الهواجس تناوبت عليه الظنون .. كست ملامحه فرحة طفولية خضــراء .. أن الرئيس ما استدعاه إلا ليعرض عليه منصب النائب الشاغر حتى إذا أتته المنية يخلفه .. رد عليه العايق بلا مبالاة:

- كلام سابق لأوانه يا ريس.
- بالعكس دا وقته.

سكت العايق راح في تفكير عميق .. قال بعدها في جدية:

- من إيدك دي لإيدك دي.
- يعني مستعد تضحي عشاني.
- يا ريس لو طلبت عينيي!!
- بس دي تضحية كبيرة.
- أنا قدها وقدود.
- خلاص ما دمت مصمم نشوف فصيلة الدم.

أشار لي اتجهت نحوه همهمت:

- هات صباعك.
- ليه؟
- عشان نحدد فصيلة الدم.
- تحدد فصيلة الدم؟!

قالها مدهوشاً .. عاد بعدها مستطرداً:

- و إيه صلة فصيلة الدم بموضوعنا.

رد عليه الرئيس:

- هي دي جوهر الموضوع.
- ليه هو إنت لما اتعينت نائب للرئيس طلبوا منك تحديد فصيلة دمك.

ضحك الرئيس .. ضحك أيضاً العايق .. بعد أن نامت ضحكاتهما همهم الرئيس:

- رحت بعيد قوى يا عايق.
- رحت بعيد .. قربني.. فهمني.
- بتعتقد إن أنا بعرض عليك وظيفة النائب!
- دا فعلاً اللي أنا فهمته.
- غلط.
- والصح؟
- حالتي الصحية متدهورة ولازمني زرع كبد.

توقعــت أن يـــنهار الـــرجل فالخـــبر صاعق إلا أنه بعد فترة وجيزة من الارتباك المفاجئ استطاع أن يستعيد نفسه قائلاً في حرفية متقنة:

- وأنا بقي كبدي اللي يصلح؟!
- نشوف.
- من غير ما نشوف .. كبدي نصه تلفان من الخمر .. كلنا في الهوا سوا.

سكت عاد مستطرداً في وقاحة:

- يا سيدنا دا أنا عايش بالبركة ودعا الوالدين.

وقف فجأة مهمهماً:

- إذا ما كانش فيه أوامر ثانية استأذن.

لم ينطق الرئيس بكلمة وكأن سهم الله نزل عليه .. غير مصدق فالعايق هو أقرب المقربيــن إلــيه .. صنع منه الرجل الثاني فكيف يحدث هذا .. اتجه العايق نحو الباب .. احتدم غضب الرئيس .. زعق فيه:

- إنت رايح فين؟!
- هو سيادتك عايزني في حاجة ثانية غير الموضوع اللي اتكلمنا فيه.
- أقعد ولما أسمح لك تمشي تبقي تغور.
- وأنا الآخر ليس لدي أدني استعداد لأكون فأر تجارب.
- يعني إيه؟
- يعني سيادتك استدعيت الناس دي كلها عشان تختبر إخلاصها.
- افرض.
- بـس فيه حاجة إنت نسيتها وأسمح لي أقولها لك على بلاطة إحنا عايشين كلــنا تحــت جناحك ولو الجناح دا اتقصقص ثق تماما أن الكل مجهز نفسه للهروب.
- مش فاهم.
- يــا ريــس كلنا في مركب واحد لو غرقت هنغرق سوا .. حاجة واحدة بس ممكن تنجينا.. طوق النجاة.
- ومجهزينه.
- كل واحد فينا منشن على بلد وفيه واحد منا اشتري جزيرة كاملة في الهادي وانت عارفه كويس.
- تعرف إني معجب بصراحتك.
- أقرب طريق للحقيقة.
- يا ريس اللي ما يعملش حساب اليوم دا يبقي غبي.
- كده أقدر أقول لك مع السلامة والقلب داعيلك.

الإحــباط والإنــزواء داخل النفس والحقيقة الصادمة .. لم يكن الرئيس ينــتظرها .. سؤال يراودني كيف غابت عن الرئيس كل هذه المدة .. لماذا عجز عــن اكتشــافها رغم وضوحها .. كيف فاته أن يتعرف عليها ولديه عيونه التي ترصــد الإنســان حــتى وهــو عاريا مع زوجته.. حاولت تخفيف الصدمة عليه بقولتي:

- لا تحزن يا ريس فإن بعد العسر يسراً.
- كيف وقد اكتشفت أنني أعيش الوهم كله؟
- كل شئ يتصلح.
- إزاي؟!
- ببساطة شديدة تحقق حلم الناس.
- للأسف حلمهم يتعارض مع استمراري في موقعي.
- لــن يــتعارض إذا أقدمــت على تنفيذ خطوات جادة للإصلاح .. المهم أول خطوة.
- كيف؟!
- بزرع كبد.
- نفس اللعبة الفاشلة.

- لن تكون كذلك هذه المرة.
- لمين.. نزرع كبد لمين؟!
- لمصــر يا ريس أمنا وعشقنا وفرحناوعشان تنجح العملية لا بد من تجهيز الجسد.
- أجهزه بس الطريقة.
- أول هام تغير الدم.
- زي ما تكون عملية جراحية بصحيح.
- تمام كده .. عملية جراحية وجراحين مهرة وتشريح.
- في أي مستشفي؟
- مستشفي النهضة.
- مكانها فين ؟!
- في وجدان كل مصري.
- وعملية تغيير الدم تتم إزاي؟
- أولا نســحب الــدم القديم الملوث.. حالة الطوارئ وكل القوانين الاستثنائية وبعدين نضخ دم جديد.
- قصدك دستور جديد.
- وأول نص فيه.. سيادتك.
- قصدك إني أرحل؟!
- لا.. أولا تغــير منظومة المنصب نفسه المتهرئة بمنظومة ثانيه نسيجها من إرادة الشــعب يكون فيها اختيار رئيس الجمهورية بالانتخاب مش بالكوسة ولا بالتدليس.
- وثانيا؟!
- يتم تعيين نائب لرئيس جمهورية.
- عشان ياخدها مبخرة!!
- في ظل انتخابات نزيهة .. إنسي.
- وابني ؟!
- تبقي أكبر غلطة إرتكبتها في حياتك السياسية كلها لو عينت ابنك نائب لك.
- ليه هو ابني كخه!
- لا .. لكن في ظل انتخابات حرةٍ نزيهة وشفافية مطلقة ممكن يرشح نفسه.
- أنا مش فاهم .. إنت معاي وللا ضدي؟!
- معاك .. عشان كده باقدم لك النصيحة.
- تنصحني هو فيه أحد من الرعايا ينصح حاكم؟!
- في البلاد الديمقراطية .. نعم.
- إزاي وإنت بعظمة لسانك وصمت النظام إنه ديكتاتوري.
- يمكن يكون كلامي خطوة نحو الديمقراطية.
- تبقي بتحلم.
- ماذا يعني هذا؟
- يعني إنت لا فاهم ولا عارف إيه هي السياسة.
- عرفني.
- سمعت مرة عن حاكم قرر الحد من سلطاته أو التنازل عنها من تلقاء نفسه.

- قصدك إيه؟
- إيه اللي يدفعني إن أنا أتنازل عن سلطات أعطاها لي الدستور.
- رغبة الناس ومصالحهم.
- لـو كانت رغبات الناس هي التي تحدد نظام الحكم يبقي عليه العوض ومنه العوض.
- فهمت.
- فهمت إيه وأنت قاعد قدامي زي خيال المآته؟!
- ما يؤخذ بالغصب لا يسترد إلا بالغصب.
- هذا تحريض على الثورة والتمرد أنا أرفضه.
- بل هو تقرير حقائق .. لم تعد تجدي المحايله .. عشان خاطري .. والنبي.. ربنا يديك العافية .. ربنا يطول في عمرك .. الحرية لا توهب ولكن تؤخذ .. كما حدث في أوكرانيا مع الثورة البرتقالية.
- عليكِ نور .. إنت كده شطور.
- طبعاً .. لك حق تسخر من كلامي وإنت قاعد متبت.
- يا ضمير لا تنظر للأمور بهذه السطحية .. فما ينطبق على الشعب الأوكراني لا ينطبق على غيره من الشعوب .. وما يصلح له قد لا يصلح لغيره.
- يا ريس لا أحد يختلف حول مفهوم الحرية.
- عايـزنها تهبـبوا بـيها إيه .. تخلفوا عيال وللاّ تسقطوا النظام وتحولوها لفوضى ويحكمها إخواننا البعدا.
- عشان تفكوا الوصاية على الناس .. هي أدري بمصلحتها.
- ناس نسبة أميتهم خمسين في المائة تعرف مصلحتها إزاي؟!
- ما هو غياب الحرية هو اللي وصلّها لهذه النسبة وستتزايد في المستقبل في ظل غياب الحرية.
- يا خسارة غياب الحرية أصبح شماعة لأخطائكم.
- الحـرية هـي الأسـاس .. شـجرة باسقة فروعها الديمقراطية والشفافية والطهـارة والأخـلاق والضمير بدونها تنهار المجتمعات وهذا هو الحاصل عندنا وصلنا للذيل وربما تحت الذيل.
- فاكر إن الناس لو عرفت طعم الحرية ينصلح حالها.
- إمال يحصل لها إيه؟!
- الـناس زي العطاشـي في صحراء جرداء لو سقيتهم مرة واحدة مصيرهم معروف.. الموت بالصدمة .. لكن نقطة نقطة يصحصحوا ويبقوا زي الفل.
- وسياسة التنقيط دي على كام سنة .. واحدة .. اتنين.. ثلاثة ... عشرين؟!
- على حسب تقدم حالة المريض وأحيانا الدكتور يوقف العلاج لفترة ما عندما تستدعي حالته.
- المـريض لـيس فـي حاجة لدواء .. خلاص فات أوانه.. هو في حاجة إلي البتر وحتى يتم ذلك لا بد من مبضع والمبضع هو الحرية.
- يا ضمير الفلسفة لا تصلح لإدارة الشعوب.
- أي تخطيط بدون فكر مصيره الفشل.
- ومين قال لك إن إحنا لا نفكر في شئون المواطنين.
- التفكير غير الفكر يا ريس الفكر يمثل فلسفة التكوين.

- التكوين لإيه .. لخلايا إرهابية توقّع البلد وتحطه في مزنق .
- ما أقصده التكوين الحر وما يستتبعه من خطوات لتحقيق الديمقراطية ولن يتم هذا إلا بإلغاء كافة القوانين الاستثنائية وحالة الطوارئ واستبدال الدستور بآخر.
- أنت فاكر لو أقدمنا على هذه الخطوات تبقي المشكلة اتحلت!
- أبقي عبيط لو فكرت بالأسلوب دا .. فيه خطوات مهمة لابد من تنفيذها حتى تكتمل المنظومة.
- قل ولا تقل !!
- نمنع التزوير ونساوي في فرصة الترشيح لمنصب الرئيس ولجان الانتخاب يبقي تكوينها قضائي مش اللجان إياها ونلغي طبقية مجلس الشعب والشوري فلا عمال ولا فلاحين ولا دياولو.
- يبقي حرمنا الأمة من مكاسبها.
- يا ريس البلد مش ناقصة بلاوى مسيحة تكتم على نفسها..لازم عضو مجلس الشعب أو الشوري يكون حاصل على شهادة عالية..إذا كانت النوادي لا تقبل عضوية من يحمل شهادة متوسطة فما بالك بمن يمثل الناس في المجالس النيابية.
- خلصت عشان أنا إتخنقت من كلامك.
- لا .. لسه الأهم.
- إيه تاني ؟
- حالنا؟
- ماله؟
- معووج.
- من إمتي ؟
- من زمان لكن ظهر إعوجاجه بصورة حادة من يوم ما توليت الحكم .. قلنا حرب ٧٣ آخر الحروب وانتظرنا الرخاء لكن للأسف اقتربنا من الانهيار ونحن نعاني كافة الأمراض السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولأول مرة يتمكن التلوث الهوائي والمائي والغذائي والسمعي والبصري من رقبة المواطنين ويتحول اقتصاد البلد لتكية ويصبح التعليم نكبة ووزارة الإعلام واجهة لكل الموبقات الإعلامية .. ووزارة الثقافة تحولت إلى بوق للسلطة من خلال مؤتمرات النفاق.
- والمطلوب ؟
- نقطع دابر التلوث ونطور التعليم بعد ما نلغي مادة الدين ونخصخص وزارة الإعلام ونفصصها.
- إزاي؟! هي برتقالة؟
- هو فيه حد يقدر يبلع البرتقالة كلها مرة واحدة.
- أظن كده وصلت لنهايتك.
- لسه وزارة الثقافة.
- نخصخصها دي كمان ونفصصها.
- لا دي نلغيها ونحولها لمؤسسات مدنية.
- ناقص تقول نلغي منصب رئيس الجمهورية!!

- المطلوب هو تدويل شخص رئيس الجمهورية لا إلغاء منصبه.
- وهو فيه حد في الساحة أجدر مني بهذا المنصب.
- أي مواطن يرشح نفسه في هذا المنصب لابد وأن يكون واثقاً أن أداؤه سيكون أفضل وأنه أجدر به من غيره وإلا فلماذا يرشح نفسه.
- نسيت أن أنا لي خبرة في الحكم ثلاثين عاماً رئيساً ونائباً.
- ليست هذه ميزة بل نقطة ضعف.
- إنت عايز تفرسني بكلامك الدلع.
- يا ريس ميزة الخبرة التي تتحدث عنها يقابلها أنك قدمت كل ما عندك خلال فترة حكمك الطويل ولم يعد لديك جديد.
- كلام فارغ فتاريخي يشهد لي.
- بايه ؟ لقد بدأت سيادتك بقيادة طائرة .. مثل قائد الدبابة والسيارة.. الفرق ان قيادة الطائرة أكثر إثارة.. ثم تدرجت في المناصب حتى وصلت إلى قائد سرب ثم قائداً لسلاح الطيران إلى أن تم اختيارك نائباً لرئيس الجمهورية ثم رئيساً ضربة حظ أو ورقة يا نصيب أتتك من حيث لا تدري لا جاهدت ولا كافحت ولا اشتركت في أحزاب ولا قدت مظاهرات ولا سجنت ولا كنت " مانديلا " ولا "علاء حامد" تاريخك أبيض تماماً.
- وفيها إيه أيزنهاور كان ضابط وشارون كذلك وغيره وغيره فالعمل العسكري لا يعيب الإنسان.
- أنا متفق معك فالعمل العسكري ليس وصمة بل شرف وقد مارسته وأنا مجند ثم وأنا على الاحتياط في اليمن .. لكن المشكلة إنك حوّطت نفسك بمجموعة من الحرس القديم مهمتها نصب المشانق للحرية ورسم خريطة سياسية شمولية للنظام ودورك ينحصر في التنفيذ حتى خطابك البلاغي الذي تلقيه يعده صحفي بأسلوب الكلمات المتقاطعة!!
- عايز تقول أن أنا أبيض؟
- ينقطع لسان أي واحد يتجرأ ويتفوه بلفظ يجرح أحاسيسك لكن الواقع هو الذي يتحدث.
- أي واقع هذا الذي تتكلم عنه!
- الواقع يقول أنك نادراً ما ارتجلت خطاباً سياسياً ولم يحالفك التوفيق في كثير من أحاديثك الصحفية أو المذاعة .. وقد استمعت لك في مناسبات عدة لأكثر من حديث .. نفس الأحاديث المكررة المعادة لم اكتشف فيها جديداً يعبر عن منهج فكر سياسي ديمقراطي حر بل كل ما يمكن استخلاصه من مجاميع الأحاديث هو إصرار المحيطين بل على استمرارك في الحكم مدي الحياة لا لسبب إلا لأنهم المستفيدون من تواجدك على رأس الدولة .. نعم أنت الرئيس ونحن نقدر ونحترم فيه الرمز لكننا أصبحنا في حاجة إلى ما هو أكثر من الرئاسة التقليدية الروتينية .. أصبحنا في حاجة إلي زعامة تعتمد على اختيار الجماهير لا على استفتاءات مزورة .. تتبنى رؤية مستقبلية من خلال منهج سياسي ينهض على الحرية .. زعيم وليس رئيس يعتمد في استمرار تواجده على عصا رجل الشرطة المكهربة الصاعقة .. الناس تريد استبدال ثقافة العسكر الحاكمة بثقافة الحرية والديمقراطية .. ثقافة لا يتحصن الرئيس فيها من النقد .. ثقافة تمزق

شرنقة الديكتاتورية وتنفتح على كافة الثقافات الأخرى .. ثقافة تجدد قياداتها تلقائيا دون اللجوء لمنشور من السلطان فليس مقبولا بل هو التخلف ذاته أن يقود مسيرة شعب جائع أربعة من الحرس القديم يتناوبون على جلد هذا الشعب مرة بسوط مجلس الشعب وأخرى بسوط مجلس الشورى وثالثة بسوط الحزب الوطني ومرة رابعة بسوط الوزارة.. أربعة رجال كل همهم الموت وهم في كراسي السلطة .. تمكنوا خلال عشرين عاما من حكمهم وضع الشعب المصري في القائمة السوداء .. قائمة التخلف والإرهاب والتلوث والأمية والجهل والفقر هؤلاء هم من يجب محاكمتهم على ما ارتكبوا في حق الشعب بوضعه في القائمة السوداء لا أن نحاكم طموحات مشروعة لرئيس حزب في الحرية والديمقراطية. إن المصريين بكافة طوائفهم وانتماءاتهم يتشككون في نية الحرس القديم تجاه الحرية .. عدوهم اللدود وهم يشهرون عليها سكاكين الجزار بعد أن علقوها ذبيحة توطئة لتقطيعها وبيعها مجزئة لكل من هب ودب وأنت تري ما يحدث دون أن تحرك ساكنا.

- كلام سخيف واتهامات باطلة لا أقبلها.
- لا تقبلها لكنها تعبر عن الحقيقة .. فلا حرية مع السلطات المطلقة .. عدوانّ لدودان لا يتعايشان سويا فسلطات الرئيس في بلدنا المغلوب على أمره لا حدود لها .. أوسع من سلطات مؤسسات الدولة مجتمعة .. التشريعية والتنفيذية والقضائية فهو القائد الأعلى للجيش والشرطة ورئيس مجلس القضاء الأعلى ورئيس الحزب .. يملك سلطة إصدار القوانين وحل مجلس الشعب والشورى وتعيين الوزراء وإقالتهم .. سلطات لا يملكها الله على البشر .. بعد كل هذا تتهم كلامي بالسخف.
- الحرية لا صلة لها بما حباه الدستور لي من سلطات.
- يا ريس الحرية لا تستقيم مع الديكتاتورية .. أمران متناقضان إما هذا وإما ذاك .. فإذا رُفعت راية الحرية اختفت الديكتاتورية .. والعكس صحيح وما ذكرته من سلطات رئيس الجمهورية هو صورة فجة للديكتاتورية وكما قلت أرض مالحة بور لا يمكن أن تنبت فيها شجرة الحرية.
- إيه حكايتك إنت بتحسدني؟!
- بالعكس أنا أنصحك .. أنير طريق الأمل أمامك .. أطلب منك وأنت في موقعك تهيئة الأرض المالحة لإنبات شجرة الحرية حتى تتذكرك الأجيال القادمة بالخير كما تذكرت سعد زغلول ورفاقه.
- يعني عايز مني إيه أحولها لفوضى.
- تمام زي ما أقنعوك عصبة الأربعة أن الحرية فوضي رغم أن المفاهيم في العالم كله المتحضر والمتخلف تغيرت تماما وحدت من سلطات رئيس الجمهورية.
- وفيها إية .. هي في النهاية بتصب لمصلحة مين ؟!
- هذه السلطات عندما تجتمع في يد فرد واحد لابد وأن تحوله لديكتاتور.
- عايز تقصقص جناحاتي عشان الغربان تاكلني وأنا حي .
- لو أنا في مكانك ستكون هذه أول خطوة في برنامجي .. وحكاية الغربان مجرد وهم.

- كده تبقي حكمت على نفسك بالإعدام.
- ايه .. هو الحاكم لما يعطي المواطن حرينه معناه موته.
- أنت لا فاهم ولا عارف.
- عرفني .. فهمني .. من حقي أعرف.
- فيه اتفاق ضمني بين الحكام العرب بإبقاء الحال على ما هو عليه ومن يخرج على هذا الإجماع يبقي يا ويله يا سواد ليله.
- إذن الكلام اللي سمعناه في أروقة السياسة صحيح.
- كلام إيه اللي سمعتوه.
- إن فيه اتفاق سري بين حكام الأنظمة الديكتاتورية على إبقاء العراق على شفا هوة من القلق حتى لا تستقر به الأمور ولا يتم دمقرطة نظامه خوفا من أن تصيب جرثومة الديمقراطية هذه الأنظمة الديكتاتورية وتم اختيار سوريا لتكون مخلب القط في مخطط إثارة القلاقل والإرهاب داخل العراق بمساندة حكام هذه الأنظمة الديكتاتورية.
- تقصد مين بحكام الأنظمة الديكتاتورية.
- كل الأنظمة التي يؤثر عليها دمقرطة العراق بلا استثناء.
- كلام مرسل لا دليل عليه فسواء تحولت العراق إلى بلد ديمقراطي أم عجزت عن ذلك فلن يغير هذا من أسلوب تلك الدول.
- معنى كلامك إن لا فيه إصلاح ولا دياولو.
- لا فيه دياولو لكن الإصلاح كلمة ممكن نسمعها في المؤتمرات والندوات لكن عند التنفيذ الفعلي فيه محظورات لا يمكن الاقتراب منها.
- مثلا.
- سلطات رئيس الجمهورية وتمديد فترات الرئاسة بلا حد أقصى .. وضوابط وضمانات الترشيح للرئاسة بحيث لا يتقدم لها كل من هب ودب.
- يا ريس الصحة لم تعد على ما يرام والأعمار بيد الله فإذا حدث لك مكروه لا قدر الله منعك من ترشيح نفسك سيتحول من يخلفك إلى ديكتاتور آخر.
- ما يتحول ولا يتنيل وأنا مالي.
- مستحيل إننا نزرع بذرة الحرية في أرض مالحة.
- إيه حكاية الملح دي اللي مخيشه على عقلك.
- يا ريت على قد الملح .. دا ملح وصودا كاوية وسيانور البوتاسيوم.. كيف تقام انتخابات في ظل قوانين طوارئ تسمح للنيابة أن تحبس المرشح وكيف يظل رئيس الجمهورية متربعا على عرشه لأقرب الأجلين الموت أو الموت!! ثم كيف تستقيم الحرية مع كل هذه السلطات الواسعة التي يتمتع بها وأخيرا كيف نضع العربة قبل الحمار ونغير مادة في الدستور قبل أن نهيئ التربة بإلغاء قوانين الطوارئ .. يا ريس الناس غرقانه في مستنقع الخوف وعايزه اللي ينشلها وانت الوحيد المؤهل لمساعدتها فإذا تخليت عنها في محنتها فلن يرحم التاريخ عصرك ولا نظامك.
- لو إنت مكاني كنت هتعمل إية ؟
- أحط برنامج كامل متكامل بجدول زمني لا تزيد مدته عن ثلاثة سنين يتم من خلاله إلغاء حالة الطوارئ والقوانين الاستثنائية وكل القيود على تكوين الأحزاب وإصدار الصحف وحرية التعبير والتظاهرات والاجتماعات

وألغــي نســبة العمـــال والفلاحيــن الطائفية من مجلس الشعب والشوري وأشرع نظام انتخابي أراعي فيه تمثيل الأقباط والمرأة تمثيلاً عادلا.

- كل دا في برنامج واحد؟!
- بــل هو الخطوة الأولي للإصلاح السياسي أو غسل التربة مما علق عليها مــن أمــلاح الديكتاتورية يعقبها تخصيب الأرض بمخصبات وقف التلوث العقلــي بمحــو الأمــية ووضــع نظم مستحدثه للتعليم لا يدخل الدين في منظومتها يتلو ذلك مخصبات الحرية من خصخصة لكافة الصحف القومية ووسائل الإعلام والثقافة وأخيراً مخصبات الاستثمار من خصخصة البنوك ووسائل النقل والبترول وكافة شركات قطاع الأعمال وقناة السويس.
- إنت بتحلم.
- يا ريس إذا كنت لا تجد في نفسك القدرة على تحقيق ذلك الحلم فدع غيرك يحققه ومصر ولادة.
- وهو حد ينفع لقيادة الأمة في هذه الفترة الحرجة غيري.
- طبعا .. مصر ليست عقيماً.
- شاور لي على واحد وأنا أقطم لك رقبته ولا أقول لك أحطه في السجن.
- أنا ..

ضحك الرئيس .. قال ساخراً:

- إنت .. إنت مين؟!
- أنا ضمير الأمة.
- لم يعد الضمير يصلح في عصر الماديات.
- نجرب.
- وأنا أروح فين !
- لقــد قدمــت كل ما عندك ولم يعد لديك سوي ما يقدمه الحرس القديم فدع غــيرك يفعــل ذلك على أسوء الأحوال سيكون عهدة أفضل مما نحن عليه الآن.
- ومن أدراك.
- لأن الديمقراطية ستكون وسيلته والحرية هدفه.
- إن هي إلا سنين وينقلب على مبادئه.
- من يحصل على الحرية ليس على استعداد للتنازل عنها.
- وحدث!!
- ٥٢ كــان عصــر وما نحن فيه عصر آخر لا يتساهل أبداً مع من يناوئون الحرية .. وأكبر دليل على ذلك أوكرانيا ولبنان والبقية تأتي.
- وإذا رفضت.
- تبقي الطامة الكبرى أن هي إلا شهور وربما أيام ويسقط التاج !!
- أي تاج تقصد.
- تــاج القوانين الاستثنائية والطوارئ والسلطات المطلقة التي تضعها على رأس النظام.
- دلوقت بس فهمت ليه إصرارك على مقابلتي.
- الحمد لله أنك فهمت هدفي.
- لكنه حلم إبليس في الجنة.

- يبقي كفاية عليّ نشر المناظرة التي تمت بيني وبينك على الملأ.
- يبقي أخر يوم في عمرك.
- ويبقي آخر يوم في عمر النظام تمام زي ما حصل بعد اغتيال الحريري.
- الحريري كان رئيس وزارة.
- كـــان فعل ماضي لكن أنا مازلت مبدعاً.. عارف سيادتك يعني إيه مبدع .. يعني ضمير الناس .. ممكن تصفيته جسديا لكن من المستحيل قتل الضمير داخله..
- أنت مصيبة وحلت عليّ.
- المصيبة الحقيقية إنك لم تعد تسمع إلا بآذان معاونيك ولا تتكلم إلا بلسانهم فتتم حجب أنين وصرخات الجوع والفقر والبطالة.
- من الآخر عايز إيه يا ضمير.
- بعـد أن سـمعتك تـأكد لي أن التعارض بين النظام والناس حاد لا يمكن توفـيقه ولم يعد ثمة طريق للخروج من هذا المأزق سوي التضحية بأحد الطرفين لحساب الآخر ولأنه لا يمكن التضحية بالشعب فلم يعد ثمة طريق للخـلاص سـوي أن تسلم الراية لجيل آخر بعد أن لفظ الناس عهد الإبادة الجماعـية للحـرية.. عهـد يتم فيه تفصيل الأحذية للديكتاتورية لتدوس الشـعب .. عهـد قتلـت فيه روح الناس وسلبت مقتنيات إرادتهم بعد أن استمرأ النظام الخديعة والغش والتزوير والالتفاف حول أحلامهم وآمالهم.. عصـر يختبـئ فـيه المسـئولون أثـناء الاحـتفالات خلف زجاج مضاد للرصـاص.. لا يخـتلط فـيه الحاكم بالشعب خوفاً من غضبته بعد أن أكل النظام الناس لحماً وتركهم عظماً.
- هات من الآخر .. طلباتك.
- في عبارة واحدة وقف الانهيار.
- أي انهيار هو إنت مش عايش في البلد دى.
- عـايش وحاسـس بآلام الناس وأحلامهم وأحزانهم لكن المشكلة في اللي عايش فقط مع نفسه.
- تقصد مين؟
- أقصـد أي حاكم يعمل بالريموت .. مجرد دمية في إيدى اللاعبين يحركونه متـي يشـاءون طـبقاً لمصـالحهم وأهوائهم.. الناس تريد حريتها وفك الوصـاية علـيها وترغـب في اختيار رئيسها دون ضوابط أو قيود وفي تمثيلها في المجالس النيابية دون تزوير أو تدليس أو غش وهذا كله يمكن أن يتم بسن حزمة قوانين.. المهم تكون النية صادقه.
- نظـريا كلامـك يعدي الجسر لكن عملياً ستتقابل مع صعوبات وبتاعات قد تطيح بك.
- أنـا لا أنكر إنه توجد صعوبات ولكن بداية المائة ميل خطوة واحدة فلتبدأ بالحـرية لو استعاد الناس حريتهم التي استلبت منهم لتحطمت صخرة هذه الصـعوبات والـناس لـن تستعيد حريتها إلا إذا هيأت التربة وقلصت من سـلطاتك التي تقتنص حرية الإنسان وهي تقيد حرية اختياره وتدعوه إلي عبادة الفرد الواحد التي نهي الله عنها وتحول جموع المواطنين إلي أغنام تتبع قائدها حتى الهلاك.

- كلام مرسل لا دليل على صحته .. يا أخي أما أنت غريب الشكل إذا كانت الناس راضية عن حالها إيه اللي أشخشخك أنت في شئونها.
- لقد حولهم النظام إلي قطيع يمأماً.. لا هم له إلا الحصول على الماء والكلأ مع أن المطلب إعادة حقاً مسلوباً سلبه بالسطوة والقوة والقمع دستور أعوج .. أعرج بواسطة لصوص أمعنوا في سرقة حريات البشر من خلال قوانين للطوارئ .. فهل تختلف معي في أن الناس تطلب استعادة حقاً مسلوباً لهم.
- أنا لم أسلب من الناس حقهم في الحرية .. فكل ما فعلته أنني سرت على درب من سبقني.
- من سار على الدرب فقد شارك في الأسباب التي أدت بنا إلي الانهيار جملة وتفصيلاً.
- هذا اتهام لا أقبله من صعلوك مثلك.
- أولاً أنا لست صعلوكاً بل أنا أديب مبدع ثانياً أنا لا أتهمك لكنني أتحدث بمنطق القانون الذي لا يطيق النظام الحديث بلغته فلا أحد ينكر حتى أنت رغم التزويق والتعتيم أن شعبنا الآن يعيش اللحظة الحرجة بعد أن تدني كل شئ حتى الإنسان ولأنك على رأس النظام فلا بد أن تكون مسئولاً بصورة أو بأخرى عما وصل إليه هذا الشعب من تدني.
- هذا الكلام يتناقض مع الرأي العام لجموع الشعب والتي تطالب باستمراري على قمة النظام فترة أخري.
- كده تبقي ظلمت الرأي العام فالمسألة لا تتعدى مجموعة من المنتفعين في الحزب مثل أي حزب فاشي .. فمن من المواطنين لا يعاني الآن ارتفاع الأسعار وتبلد التعليم ولسعة الدروس الخصوصية واجتياح الفقر والبطالة وانهيار الصحة العامة وانتشار المطبات في الشوارع ونفوس البشر وشيوع التلوث وسرطنة الغذاء والماء والهواء بعد هذا تحدثني عن الرأي العام .. أي رأي عام هذا .. لمجموعة من المرتزقة أم مجاميع المستفيدين أم المرعوبين أم ضعاف النفوس أم المنافقين أم حملة المباخر أم ضاربي دف السلطة ماذا تريد بالضبط إثباته يا سيدي الرئيس إنك الحاكم الوحيد الذي يصلح لحكم مصر لمدة ثلاثين عاماً وربما بعد وفاته رغم انهيار كل ما توارثناه من قيم على مر العصور بعد أن حلت العشوائيات الفكرية والعلمية والاجتماعية والعدالية محل القواعد المتعارف عليها.. صدقني إنك لن تخدم شعبك بتمديد ولايتك الخامسة بل سيحدث خلالها إحداثاً جساماً تشيب لها الولدان ستهز المجتمع بأسرة .. إنك على أبواب إرهاب من نوع جديد .. إرهاب الطغمة الفاسدة التي تتحكم في مقادير الشعب المغلوب على أمره.. إرهاب سيشعل الساحة ناراً وقد تمتد ألسنة نارة ليصبح طائفياً ومن يريد ذلك !! حتى أنت لا يمكن أن تتصور هذه النهاية الدرامية المفجعة لحكمك فحذار أن تفعل ذلك وتعلن الترشيح لولاية خامسة إن لم يكن من أجلك ومن أجل سلامتك أنت وأسرتك فمن أجل هذا الشعب الذي قدم لك كل غالي ورخيص رغم إنك لم تنفذ الوعد الذي قطعته على نفسك وأنت تتولى الحكم بأنها ستكون ولاية واحدة .. وها أنت ستكمل الولاية الرابعة وكفي بالمؤمنين شر القتال.. أريد منك أن تعي وأنت تفكر

فـي هـذه الخطوة الأخطار التي تحدق بك وبالوطن لا نريد منك أن تكون صـدام أخر ولا رئيس قازخستان المخلوع.. بل نريد منك أن تترك مكانك معـززا مكـرما حـتى يكتب في التاريخ إنك الحاكم الذي حرر الشعب من الطغـيان لتصـبح مانديلا مصر الذي لا يشق له غبار وتكتب سيرتك في الـتاريخ بحـروف مـن نور لا بحروف من دماء الضحايا وحطام المباني والدخـن والقـنابل.. ودعني أسألك لماذا هذا الإصرار على الاستمرار في الحكـم رغـم شـيخوختك ورغم الشكوك في لياقتك السياسية التي تتآكل بمـرور الأيـام وقدراتك الصحية بعد أن أصابتها وعكة تلو وعكة؟ فهل سببُ هذا الإصرار إدمان السلطة أم الخوف؟!

- أي إدمـان وأي خـوف؟ كلمـات رنانـة لكن ليس لها أية ردود عندي.. تهويش وتشويش .. جمل ساحب معزة وللا معزة ساحبة جمل!!
- يـا ريـس إدمان السلطة أقوي من إدمان المخدر فهي تضع صاحبها في دورات توهـان جميلة وهو يري كل شئ داني لو قطعة من السماء طلبها لـنالها.. مثل هذا الإدمان يؤدي بالتالي إلي الخوف من الواقع لو السلطة شاورت بيدها "باى.. باى".
- إيه الكلام الحلمنتيشى دا؟!
- نعـم الخـوف من ضياع كل المكاسب وجنة الخلد ثم الخوف من اكتشاف الأخطاء التي ارتكبها النظام في حق المقهورين وأخيرا المحاسبة عليها.
- لم أفعل طوال فترة حكمي ما يؤاخذني عليه أحد.
- كده تبقي ولا الأنبياء حتى الأنبياء لم يكونوا معصومين من الخطأ.
- لازم تفهـم جـيدا إن الرؤساء لديهم حصانة وقوانين تحميهم من التطاول عليهم رغم هذا فأنا لم أخالف الدستور أو القانون ولم أتربح من منصبي.
- لقد أثلجت صدري بردك هذا وأفحمت الشائعات التي تضعك في قائمة أغني أغنياء رؤساء العالم.
- قلـتها شـائعات.. ومع ذلك فهل الغني أصبح وصمة؟ جميع رؤساء العالم من شرقه لغربه يتمرغون في النعيم ولما تيجي عندنا تبقي وصمة .. حتى ياسر عرفات الكحيان العدمان مات ملياردير .. لكن أنا مستعجب إنت جاي تحاسبني وللا تتق عليّ وللا إيه بالضبط؟
- ولا هـذا ولا ذاك .. كل ما في الأمر إن سيادتك أثرت موضوع كنت عايز أتكلم فيه لكن كنت محرج.
- خير.. أتكلم ما هو الكلام اليومين رطرط بقي أرخص من ربطة الفجل.
- الموضـوع باختصار هو ضرورة تحديد مخصصات رئاسة الجمهورية ببند في الميزانية بدلا من تركها سبهلله.
- يعني إيه سبهلله .. إنت بتتكلم معاي بور سعيدي.
- يعنـي بـدون رقابـة وإنت أدري أن الرقابة هي تفعيل للشفافية وبدلا من الاستماع للشائعات التي تتردد في طول البلاد وعرضها عن تخصيص دخل قناة السويس لمؤسسة الرئاسة ووزارة الخارجية.. بدلا من ذلك علينا أن نضع الحقائق أمام الرأي العام حتى نرد غائلة النظام.
- غائلة .. إنت هتتكلم بالنحوي .. إتكلم دوغري من غير لف ولا دوران.
- أقصد رد اعتباره.

- صحيح اللي إختشوا ماتوا.
- مش فاهم إيه صلة اللي إختشوا ماتوا بموضوعنا.
- بصرة!!
- ملعوبة يا ريس.
- حاسب على كلامك أنا مش عايز صبري ينفذ.
- لكن من حقي أعبر عن رأيي.
- يعبر زي ما أنت عايز.
- إصرارك على الانفراد بالحكم مشكلة عويصة لا بد من حلها.
- كلام مهاويس إخوانجيه.
- يا سيدي إن أمريكا تملك خيوطاً كثيرة تستطيع أن تحدث بها إنقلاباً بل في إمكانهـا تحـريك قـوي داخلية تقضي على الاستقرار وانت قلتها بعظمة لسانك فلماذا لا نصغي لصوت العقل الذي ينادينا بخفض رؤوسنا قليلا أمام العاصفة لا أن نواجهها بأسلوب ملتوي فنأخذ بالشمال ما نعطيه باليمين.. المهم أن لا يري أحد الشمال!!
- شمال إيه ويمين إيه .. إنت بتخرف.
- منذ فترة أطلقتم قذيفة انتخاب الرئيس بالاقتراع السري المباشر وبعد أيام تم شل فاعليتها.
- انتظر حتى تري النتيجة.
- المسـألة ليسـت فـي حاجـة للانتظار..الكتاب باين من عنوانه وعنوانه س،ص،ش.
- وأنا فين.
- دورك ثانوي طالما أنهم يدعمون حكمك وسلطاتك وبقائك في السلطة حتى الممـات لكـن صـدقني ستكون النهاية مفجعة إن لم تكن بأيدي الفقراء والعراة والجوعي ستكون بأيدي أمريكا.
- كل ما تتحدث عنه خيالات مريض يجب إيداعه مستشفي عقلية.
- بعد أن ضاقت بالشعب كل السبل لم يعد أمامك من طريق سوي الرحيل.

رد الرئيس في حدة مشوبة بالغضب:

- والله العظيم إنت لا فاهم حاجة ولا عارف أنت بتقول إيه.
- عرفني .. فهمني.
- المسألة مش بالبساطة دي حتى لو أنا وافقت غيري سيرفض..حطها حلقة في ودنك أنا مش ناوي أسيب الغوغاء تحكم.
- مـن غير حلق ولا كوليه كلنا عارفين إن ما فيش حاكم على وجه الأرض في إيده كل هذه السلطات المطلقة ويترك الحكم طواعية.
- إنت خنقتني شوف لنا موضوع تاني نتكلم فيه.
- النصف الآخر.
- قصـدك الـنص الحلـو.. أنصفناها ما بقاش غير تيجي تقعد مكاني وتهز رجليها.
- كـلام جميل لكن أجمل منه الحقائق أولها أن المرأة ما زالت في الحضيض وعلينا أن نعمل على انتشالها.
- في الحضيض إزاي وننشلها من البكبورت إزاي؟

- يحزمة قوانين من خلالها نقيد الطلاق بحكم المحكمة ونمنع تعدد الزوجات ونعوض المرأة عن الطلاق بتوفير مسكن ملائم ومعاش يغنيها عن الحاجة ونمحو أميتها باتباع وسيلة الإثابة والعقاب فنقرر مكافأة لكل من تتعلم ونحرم تلك التي ترفض الخروج من عثرة أميتها من بعض الحقوق كاستخراج بطاقة شخصية كما نلغي نهائيا أحكام قانون الدخول في طاعة الزوج ونعتد بشهادتها مثلها مثل الرجل ونعترف بأحقيتها في كافة الوظائف بلا استثناء وخاصة القضاء ورئاسة الجمهورية.
- كده تبقي ضمنت كل أصوات النساء إذا رشحت نفسك للرئاسة لكن السؤال يا ناصح أنت كده عايز ميزانية دولة عشان تقدر تغطي بنود الصرف.
- ولا ميزانية دولة ولا حتى محافظة.. بل يتم فتح صندوق لدعم المرأة وليس الصندوق إياه الذي يسجن الشباب .. مصدر موارده رسم يدفع شهريا على كل زواج جديد في صورة أقساط بوليصة تأمين تستحق للزوجة عند طلاقها بينما يستمر الزوج في دفع الأقساط.
- غيره .. كلب غيره !!
- الشباب لكنهم يا سيدي ليسوا ضمن بند غيره بل هم عمود الوطن الفقري .. لذلك يجب أن يحصلوا على حقوقهم المهضومة بتشريع يضمن تواجدهم على الساحة السياسية.
- إزاي وهمة غارقين في السلبية لا يهمهم سياسة ولا كُناسة.
- علينا أن نستبدل نسبة النصف عمال وفلاحين في مجلس الشعب بالشباب.. هؤلاء الذين لا تتجاوز أعمارهم أربعون عاما وبالنسبة للرئاسة ينص الدستور على أن يكون عمر نائب الرئيس لا يتجاوز الخمسة وأربعون عاما.
- عايز تجيب عليها وأطبها.
- المنطق يوجب هذا والواقع يفرضه خاصة بعد أن أصابت مجتمعنا أمراض الشيخوخة والزهايمر فقد أمسك بزمامه بدءا من رئاسة الجمهورية وانتهاء بالأحزاب ومرورا بمجلسي الشعب والشوري من تجاوزوا السبعين من عمرهم تبلد منهم الحس السياسي ولم يعد يهمهم سوي البقاء على كرسي السلطة حتى مماتهم لذلك يجب علينا أن نعد الشباب لخوض مستنقع السياسة الذي يعج بالثعابين والتماسيح والأفاعي.
- كيف تهيء شبابا عاطلا للسياسة؟!
- هذه نقطة جوهرية علينا التركيز عليها بعد أن تحولت البطالة إلي قنبلة موقوتة ستنفجر إن أجلا أو عاجلا لتصيب شظاياها الجميع وأولهم النظام .. لذلك علينا أن نواجهها في حسم وجدية لا بالطريقة الوهمية الأراجوزية لمشروعات الصندوق الاجتماعي.
- كلام أونطة لا له في العمايل ولا بيسلم من النجاسة.
- مش فاهم.
- ولا هتفهم.

سكت الرئيس عاد مستطرداً متسائلاً:

- إنت بتستعمل الواقي؟

السؤال غريب لا يمت للموضوع بصلة .. ربما يحتاج فهمه لعبقري خارق للعادة.. رغم دهشتي رددت عليه في ثقة:

- آه فهمت .. في حالة واحدة فقط لما أتعامل مع السلطة!!
- واشمعني يعني السلطة؟
- حتى لا أصاب بالإيدز.
- عمال من الصبح تلخبط في الكلام عن البطالة والنظام والشظايا والقنبلة .. يا حبيبي يا قرة عين أمك إنت غير فاهم طبيعة الشعب المصري.. الشعب المصري مسالم حتى لو البطالة تحولت زي ما انت بتقول لقنبلة موقوتة مين هو اللي هيشعل الفتيلة .. إصحي يا نايم وحد الدايم أنا باحكم البلد بقالي أكثر من عشرين سنة .. رئيس الوزارة وكل الوزراء موظفين عندي أقيلهم في أي لحظة .. مجالس الشعب والشورى والمجالس المحلية في قبضة أيدي أحلها في الوقت اللي يعجبني .. أي واحد يطلع لي لسانه أقطعه . وأي قلم يتطاول عليّ أدوسه .. أوعي تكون فاكر عشان استقبلتك وأمنتك على حياتك تقدر تلسّن عليّ بكلمة .. أمحيك من الوجود إنت واللي يتشدد لك..عشان كده لازم تكون موضوعي في كلامك..قل لي على خطة نحارب بها البطالة..اقتراحات..مش كلام همايوني.
- أمرك يا ريس .. فلنبدأ الحرية وانسجام المجتمع مع مفهومها لتتوالي بعد ذلك منظومة الخطوات ليست في بطء خطو السلحفاة كما هو الحال الآن بل في صورة قفزات لكنها محسوبة .. نرسم لكل خطوة خريطة عليها كل التفاصيل من مرتفعات ومنحدرات وهضاب وعوائق وسدود وحلول .. هذه القفزات يمكن اختصار مدلولها في عبارة واحدة .. تهيئة طينة الديمقراطية لبذرة الحرية من خلال فلسفة جديدة يتلقاها الشباب حول الوطن والمواطنة تعتمد على خطاب سياسي يمجد مصر ويعمق إيمان الشباب في وطن مصري نقي لا عربي ولا غربي ولا شرقي ويلقنهم نشيداً وطنياً تهتز عند إنشاده عظام الأذرع والفخذين. فلسفة نبث من خلالها الروح الوطنية الغائبة من خمسين عاما والأمل في حاضر سعيد ومستقبلٍ زاخر بالأحلام.
- كل هذا كلام إنشائي جميل .. لكن قولك إيه في مهاويس الدين المتعطشين للسلطة؟!
- الدين علاقة خاصة جداً بين الإنسان وربه .. هذه الخصوصية يستتبع معها عدم التدخل في هذه العلاقة سواء من الأفراد أو من المؤسسات الدينية أو الحكومية حتى لا تفقد مغزاها.. وهو ما يفعل التطرف عكسه تماما في محاولاته دمج الدين بالشأن العام وهذا ما يتعارض مع هدف الدين باعتباره علاقة خاصة بين الإنسان وربه.
- خلاص .. خلاص فهمنا قصدك .. عايز تفصل الدولة عن الدين.

قالها الرئيس في عجالة وعصبية.

- ليس هذا فحسب بل يجب فصل الدين عن كافة المؤسسات التعليمية سواء تعليم عام أو أزهري حتى لو أدي الأمر إلي تقليص اختصاصات مؤسسات الدين المختلفة كالأزهر والأوقاف والفتوى بقصر عملها على الشأن الديني فقط.

- هذا هو التطرف المقابل.
- ييجي إيه جنب التطرف الذي يمارسه الأزهر وهو يصادر الكتب باسم الدين ثم وهو يطالب بسجن الكتاب والأدباء الذين يحاولون إشاعة البهجة بإحلال الجديد محل القديم البالي.
- الأزهر ومؤسساته الدينية تحاول ضبط إيقاع المجتمع.
- هـذا هـو لب المشكلة وأس البلاء أن يتدخل الديني في شئون المدني .. اسـمح لـي يـا سـيادة الرئيس أن أذكرك بأنه يوجد في مصر أكثر من مؤسسـة مهمـتها ضبط إيقاع المجتمع وفي مقدمتها القضاء ومن ثم فلا حاجة لتكويم القمامة داخل رأس الإنسان المصري.
- خلصت كل اللي عندك!!
- تحدثنا في المهم وبقي الأهم .. أنت.
- أنا ؟! ربنا يخليك ويطرح البركة فيك.
- لقـد لعبـت الصـدفة دوراً هاماً في حياتك ولم يكن أحد ليتصور ولا حتى أنـت.. أن يصبح طيار ثقافته عسكرية وليست لديه خلفية سياسية رئيساً للجمهورية.
- باين عليك عايز تلبخ.
- يـا سـيدي إنني أسرد وقائع لا أكذب ولا أتجمل في صياغتها .. مثل أي ضـابط عسـكري تدرجت في المناصب من ملازم حتى لواء وقائد لسلاح الطـيران وبعـد نجاحك في توجيه الضربة الجوية المؤلمة للعدو وتحقيق مهمتك في حصد أرواحه وقع اختيار الرئيس عليك لتصبح نائباً له وكانت دوافعـه لهـذا الاختـيار إنك تماثله في المنشأ فأنت سليل أسرة متوسطة رقـيقة الحال مثل آلاف الأسر المصرية.. رب الأسرة يعمل موظفاً بوزارة العـدل ويناضـل مـن أجل تحقيق حياة كريمة لأسرته ومن ثم فإن تشابه ظـروفكما يحقق له الطمأنينة والأمان فليس لديك طموح الإمارة ولم تكن مـن خصالك تلك الشخصية التآمرية التي تفرد بها السادات خاصة بعد أن نجحت في إحدى تجارب صفقات السلاح بدرجة امتياز وانت تحيط الرئيس علماً بتفاصيل الصفقة من الألف للياء بما فيها العمولة.

كـل مـا ذكـرناه يخضع لترتيبات الصدفة حتى ترشيحك رئيساً للدولة بعد اغتيال السادات لم تكن تتوقع ذلك خاصة أمام منافسك " أبو غزالة " معشوق فصـائل الجيش آنذاك.. واستمرت الصدفة تلعب دورها وأنت ترتقي العرش والشعب مكبل بقوانين الطوارئ والسلطات المطلقة لرئيس الجمهورية تقول لـك شـبيك لبيك أنا عبدك وبين إيديك ومجموعة من الجبابرة على استعداد لخلـع سراويلهم مقابل السلطة من خلال معادلة حسبت جيدا أنت على رأس الدولـة ونحـن نفعل في الشعب ما بدا لنا ونجحت المعادلة حتى الآن على حسـاب الشـعب المسكين فقد حكمت الدولة زهاء ربع قرن بينما الجبابرة يعيـثون فـي الأرض فسـاداً وإفسـاداً طبقاً لآليات الصدفة التي لا يخضع معيارها للعقل والعلم.. والنتيجة كما نراها الآن على الساحة وزارات تعاقبت علـى السلطة لا هدف لها سوى بقائك في الحكم والجبابرة معك .. وانفجار فـي المواليد وانتشار الأمية وتدهور الصحة العامة وتوغل السرطان وتمكن وحـش الـتلوث المائـي والهوائي والغذائي والسمعي والبصري من رقبة

المجتمع والتهام غول البناء لأرض الدلتا الزراعية. الكل يعرف أنك لا تريد أن تتخلى عن الرئاسة وأنت حي ترزق لأن مكوناتك الشخصية اندمجت معها فأصبحت جزء لا يتجزأ منها.. لذلك فالتخلي عنها يصبح بمثابة موت إكلينيكي وهذا معني ما تردد على لسانك أكثر من مرة وأنت تستصعب الرحيل. رغم إن هذا التصور لا يتفق مع الواقع فعشرات من الرؤساء الذين تركوا الحكم طواعية أو قسراً مازالوا يعيشون ويمارسون حياتهم.

صاح الرئيس في حدة:

- أسكت.. إخرس .. هطلّع مصاريني بره؟!

- سيدي الرئيس بعد كل هذا ماذا يمكن أن تتوقع؟! رئيس يتولى الحكم بالصدفة يملك قبضة حديدية بالصدفة .. يري الأمور بمنظور معاونيه أيضاً صدفة.. مثل هذا الرئيس ماذا يمكن أن يقدم في ولايته الخامسة سوي تكرار للحادث والحادث من المستحيل قبوله لأنه ترسيخ للشمولية ولحكم الفرد مدي الحياة ثم للتوريث من بعده لابنه بنفس وتيرة الصدفة التي لا تعرف عنه سوي أنه شاب تربي في أحضان الثراء .. نهل من عسل السلطة.. لا يأكل إلا بملعقة من ذهب .. يقطن قصراً من قصور ألف ليلة وليلة .. انفصل بفكرة تماماً عن مجتمعه.. مجتمع الفقراء والأوباش لم يكلف نفسه مرة عناء زيارة عزبة القرود أو منشية ناصر.. أو ترعة الهلوتي التي تصب فيها مياه الصرف الصحي أو مشارف زفتي التي ينفث في أجوائها دخان مائة مصنع طوب .. لم يقف مرة في طابور الخبز ثلاث ساعات حتى يحصل على عشرين رغيفاً.. لم يخيط نعل حذائه لدي الإسكافي .. لم يكمل وجبة العشاء بكوبين من الماء الملوث .. لم يطهو الفتات العالق ببقايا عظام الفراخ بعد اقتطاع لحم " البانيه " .. طعام الأثرياء. لم ينحشر داخل أوتوبيس .. لم يشرب الماء الملوث بالطحالب والديدان .. فكيف لمثل هذا الشاب أن يعرف ما يعانيه الشعب وقد أتي من سماء السلطة السابعة متدثراً بعباءة والده الحاكم؟ كيف له أن يحكم مقهورين معدمين أذلة.. بالتأكيد سيردد كلمات ماري إنطوانيت " إذا كانت الناس لا تجد خبزاً فلتأكل جاتوه " هذا الشاب لو ورث الحكم عن أبيه فسيكون ميراثاً بالصدفة لأنه غير مؤهل لتولي مثل هذا المنصب .. لقد أتيت سيدي الرئيس للحكم بالصدفة واعترفت بذلك في بعض أحاديثك حين ذكرت أنك لم تكن تطمع أبداً أن تكون رئيساً وحللت بلا أهلاً ولا سهلاً من أغلب المواطنين في منصبك قرابة الثلاثين عاماً ما بين رئيس ونائب رئيس طبقاً لقانون الصدفة وسترحل أيضاً عنا أيضاً بالصدفة.

قاطعني الرئيس في غضب جامح:

- هذا كذب وبهتان فقد تجاوزت نسبة نجاحي في الاستفتاء تسعين في المائة من مجموع الناخبين.

- عفواً.. لن أصم هذه النسبة بالتزوير بل سأذكّرك بأنها منسّبة لمن أدلو بأصواتهم وليس لمجموع الناخبين.

- وتفرق إيه .. أم الخير زي ست الدار.

- لا يا ريس تفرق .. لأن نسبة من أدلوا بأصواتهم لا تتجاوز العشرة في المائة من مجموع الناخبين .. معنى هذا أن التسعين في المائة والذين لم

يدلوا بأصواتهم في الاستفتاء يرفضون تمديد رياستكم الكريمة وهذا يعني لا أهــلا ولا سهلا. رغم هذا فالقضية الأساسية. هي مدي شرعية نص في الدســتور يخل بثوابت حقوق الإنسان التي أجمعت عليها المواثيق الدولية المعــترف بهــا إقليميا.. مثل هذا النص الدستوري يعتبر نصا فاسدا يجب إسقاطه فلا يعمل به لمخالفته نصوص المواثيق الدولية.

- لغاية دلوقتي أنا مش فاهم قصدك إيه وانت عمال تلت وتعجن.
- المعني إنه لو النص الدستوري المحلي الفاسد خالف النص الدولي والمعترف به دوليا يعتبر باطلا.
- كلام مسرحيات زي اللي كانوا بيرددوه في البتاعة دي اللي مثلوها على المسرح.
- لا يــا سيدي الرئيس فالنصوص الواردة في قانون الطوارئ والتي تحجر علــى حــرية المواطــن وتجيز للسلطة القبض والمصادرة والاعتقال كلها تخالف نصوص حقوق الإنسان الدولية.. وحقه المنتقص في اختيار ممثليه الذي يشوبه التزوير باطل بطلان زواج عتريس من فؤاده!! وبالتالي يحق لكل شخص الطعن على تلك النصوص لدي الأمم المتحدة وإعلان العصيان المدنــي ضــد شرعيتها الباطلة التي تتنافى مع حقوق الإنسان وحقه في الاختــيار .. وبهــذه النتيجة وهي شرعية العصيان المدني ضد الإجراءات الــباطلة تنامت حركات العصيان في أوكرانيا وجورجيا وقزاغستان ولبنان والبقية تأتي وستحتل مصر الأولوية في تلك البقية.
- خلصت ترهاتك .. عشان أنا دماغي صدعت.
- لــيس بعد .. فقد خدمتك سيدي الرئيس الصدفة وأنت تتولي أمر الناس ثم وأنت تمارس سلطانا لا حدود له على البشر أتاك على طبق من ذهب دون جهد أو كفاح أو عرق من خلال دستور أزعر أهداه إليك المضحك الراقص علــى كــل الحبال .. مغلف بقانون طوارئ أجرب .. أصاب الناس بالحكة والهرش السياسي وقوانين استثنائية عرجاء تمسك عكاز الشرطة والجيش حــتى تســتطيع الســير .. لقد وجدتها.. أي السلطات مبخرة .. معطرة.. جاهــزة علــى كل الألوان يا بطسطا !! سلطات مطلقة ضد حرية المواطن وإرادتــه وحقــه في الاختيار مثل غانية تعرض بضاعتها المثيرة على أي زبــون يقابلها .. لم يكن للنظام إرادة في تسللها خلسة في الظلمة بل أتته تسلم له مقاليدها طوعا بدون تخطيط مسبق .. لم يبحث عنها – أي النظام – أو يكــافح مــن أجل الاستئثار بها والنتيجة كما نراها الآن على الساحة بمساعدة هذه الغانية الفاجرة استطاع النظام أن يخلع ملبوس الحرية وأن يضــاجعها .. يغتصبها عنوة.. يعذبها بينما الناس لاهية في أمور حياتها تبحــث عن لقمة الخبز وسداد فلوس الدروس الخصوصية لا يثير انتباهها أو حتى فضولها تلك السادية السياسية التي يمارسها النظام والتي لم نري لها مثيلا إلا في نظام هتلر وموسوليني. صورها .. أي صور تلك السادية الفقر.. الجهل .. الانحطاط الأخلاقي .. الأمية .. تدني العلم .. اتساع رقعة الــنفاق وصــورك تحتل حوائط منابر الحرية والعلم واسمك يطلق على كل منشــأ جديــد حتى مصانع الأحذية !! لم يعد باقيا سوي تغيير اسم مصر لتصــبح " مــباركة " ومع تغيير الاسم تعلق صورك على جدران المساجد

والكنائس والمعابد. صدقني سيدي الرئيس الناس زهقت .. طهقت بعد نفاذ صبرها في الإصلاح وأنت وجوقة الملائكة الأطهار مازلتم تصرون على بقاء الحال ما هو عليه لكن الناس لن تلجأ هذه المرة للقضاء لرفع الظلم بل سترفعه بأياديها .. لا نريد أن نراك وأنت الرمز العظيم لبلد عظيم مختبئا في حفرة تكرارا لما حدث مع صدام والأمريكان .. لا نريد أن يكون مضير أولادك مثل مصير قصي وعدي لا لسبب إلا لأننا قوم مسالمون ليس من شيمنا الغدر أو الانتقام .. فماذا يحدث لو هيأت البلد لديمقراطية حقيقية .. ليس في العمر بقية ولن تعيش أكثر مما عشت فلماذا هذا الإصرار؟! أعرف أنه ليس إصرارك بل هو إصرار من هم حولك فاخذلهم مرة واحدة من أجل أولادنا ومن أجل أحفادنا .. ويكفيك أن الشعب سيخلدك لا أن يرجم سيرتك .. فلماذا التردد ؟ لماذا التقاعس ؟ لماذا وأنت تعرف أن البلد على شفا حفرة سحيقة من نار .. لن ينجو منها أحد .. لا أنت ولا أنا ولا عجوز ولا شاب ولا طفل ولا امرأة ولا مراهق لماذا الإصرار على الشمولية؟!

قاطعني الرئيس في حدة:

- كلام أجوف لا طايل من تحته.
- يا ريس طايل في السجن.
- هتهزر معايي!
- يعني ما اشبهش وماله لما أمازحك . دا أنا ضمير والأجر على الله.
- كان زمان.. دلوقت اتفقست وبانت حقيقتك.
- يا ريس الكلمة ضمير .. سواء أكانت قرآن أو حديث شريف أو مقال صحفي أو رواية أو شعر.. لها قدسية.
- خلص أنا ورايا شغل عندي لقاء بعد ساعة زمن مع نائب وزير الخارجية الأمريكي.
- وصلنا لمربط الفرس.
- تقصد أمريكا.. دخلها إيه في اللي بيحصل مالهم ومالنا .. يا جاري إنت في حالك وأنا في حالي .. وكمان همه لا جيران ولا يحزنون.
- من ناحية مالهم همه مالهم.. رغم أنها ليست بلدهم.
- ليه همه أوصياء علينا.
- إحنا اللي أعطيناهم الفرصة .. اللي بتعمله أمريكا دفاع شرعي عن النفس وبعدين هي بتطلب منا ماذا .. بتقول لنا بالفم المليان دمقرطوا حكمكم.
- أنا راضي وإنت راضي مالك بينا يا قاضي.
- إنت راضي آه..لكن الشعب المصري غير راضي حتى لو كانت الصورة الإعلامية غير كده..قل لي هل أنت فعلا مقتنع أن الشعب المصري راضي عن حاله؟
- لا أنا مقتنع إن الحالة في مصر بقت خا.
- طيب وساكت ليه وانت في إيدك تغير ريحه الخا لأمل.
- وأنا أروح فين؟
- تاني !!
- وتالت ورابع.

- إنت في عيون الشعب بس إعمل حاجة..قدم للناس عمل جليل يفكرهم بيك.
- ما أنا غيرت المادة ٧٦.
- عظمة .. تكالبت عليها كلاب السلطة وهي تحاول إقناعنا إنها فخذة ضاني ولـم تكتفي بذلك بل مصمصتها – أي العظمة –!! القضية ليست في تعديل مـادة٧٦ بـل فـي نظام اختيار رئيس الجمهورية الذي يتماثل مع النظام الملكـي القـائم علـى اختـيار الملك لولي العهد .. الملك القادم. فرئيس الجهوريـة اختاره نائبه ولياً للعهد وهو ما حدث في ولايتين والبقية تأتي لذلـك مـن الأفضـل أن نطلـق على نظامنا .. النظام الرئاسي الملكي .. الدسـتور كلـه في حاجة للتغيير الثوري .. لكن ما يدهشني حقاً كيف أن مستشـاريك يعجـزون عن قراءة خريطة الواقع السياسي في مصر والتي توضـح تضاريسـها أن التغيـير حتمـي ولا بد سواء من الداخل أو من الخـارج.. همـه منتظرين إيه .. مصيبة.. كارثة.. فتنة طائفية .. أمريكا قادمـة .. قادمة ستحتلنا إذا ما توانينا عن تغيير نظامنا الشمولي لكننا لن نسمح لأمريكا بذلك.
- إنتم مين ؟! شوية حثالة مزقوقين من برة لا في بوزها ولا في ديلها.
- الحـثالة التـي تـتحدث عـنها هم صفوة المجتمع من المثقفين والأدباء والصـحفيين والقضـاة والمحاميـن والمهندسين وشرفاء رجال الأعمال والأطباء والمحاسبين والفنانين.
- إنـت شطيت وحملت كلامي معني لا يحتمله..أنا قصدي شوية العيال بتوع المظاهرات.
- يـا ريس أي مواطن بيدافع عن حقه بأي صورة من صور التعبير يستحق منا الإنحناء والتوقير.

فـي تلك اللحظة دخل " هاجر " سكرتير الرئيس.. سلمه ملفاً .. بدأ الرئيس في متابعة أوراقه وهو يبتسم .. الصمت يعانق أرجاء الحجرة.. الوقت يمر بطيئا وأنا أسـأل نفسـي مـاذا في الملف؟! لقد تحدث الرئيس في التليفون منذ ساعة مع سـكرتيره بصـوت خفيض لم أستطيع تبين معالم الحديث سوي كلمة " بسرعة " ربطـت بيـنه وبين الملف الذي يطالعه وانتهيت إلي نتيجة أقلقتني .. إن الملف يخصـني.. مازلـت مربوطاً إلي مقعدي على أحر من " الولعة " والرئيس ينحي الملـف جانـبا .. يتأملني بنظرات مريبة والابتسامة مازالت عالقة على شفتيه.. وقف .. اتجه نحوي..دار حولي دورتين .. وضع يده على كتفي همهم:

- هو انت!!

احتوانـي رعـب قاتل .. العبارة تحمل معني التهديد والوعيد.. أجبته في صوت صرصاري وأنا أحاول لملمة نفسي المبعثرة وهو يعود إلي مقعده:

- هو أنا إيه؟!

التقط الملف بدأ يقلب أوراقه وصوته يسبقه:

- حكـم بالسجن ثماني سنوات ثم بالسجن سنة ثم فصل من الوظيفة ثم اعتقال .. دا انت تاريخك أسود.

استجمعت إرادتي .. التقطت أنفاسي وأنا أرد بثقة:

- العكس هو الصحيح إذا ما تطرقت لتفاصيل ما ذكرت.

الرئيس يقلب الأوراق يهمهم قائلا:

- حكــم بالسجن ثماني سنوات لتأليف رواية " مسافة في عقل رجل " وحكم ســنة لتأليف كتاب " الفراش " وفصل من الوظيفة كمستشار قانوني لنفس السبب السابق وإعتقال مدة ستة شهور لتأليف كتاب الدمية.

سكت الرئيس عاد مستطردا:

- كل دا وتاريخ مشرف.
- بــالقطع لأنــنا نستدل من الحادث مقدار التخلف الذي يسود مجتمع يحكمه فكــر لوثته الخرافة وسيطرت عليه عقول شيوخ حجرية تريد أن تعود بنا إلــي قــرون الانحطاط .. فإذا ما تجرأ كاتب وناهض هذا التخلف الأعمي وحاول تحطيم أصنام الخرافة والخزعبلة كما فعل قبله " جان جاك روسو " وفولتــير" و " الغزالــي " فهــذا لا يصمه بل يشرفه ويشرف معه حرية التعبير.
- لم تكن واقعة التأليف هي السبب بل محتوي الكتب التي ألفتها.
- تقصد الاتهامات التي وجهت إليها من بعض مشعوذي الدين الذين يدعون أنها تمس العقيدة وتدعو إلي هدم السلام الاجتماعي.
- عليك ميت فل وعشرة.
- يــا ســيدي أنا مُسلم وموحد بالله ومسلّم بالثوابت الدينية ويمكن الرجوع لكتابي " أحزان الضفادع " حتى يتأكد للجميع ذلك .. لكن العقيدة نقرة وما كتبته نقرة.
- قصدك نقرة عميقة.
- سمها ما تشاء نقرة .. حُفرة.. المهم إن أنا بدافع عن قضية تحرير العقل من ملوثات الخرافة.
- وكــتاب الفــراش اللــي ناديــت فيه بالتحرر الجنسي والهلفطة والكلفتة والزفلطة.
- هــو أيضــاً دفاع عن قضية تحرير العقل من موروثاته الغيبية التي حجّمته وقهرته وعذبته ذلك أن العقل البشري كل لا يتجزأ وبالتالي فتحريره لا يتم فــي جزئــية معينة بل عن مفاهيم عامة وبغض النظر عن كنهها دينية أو جنسية أو سياسية أو اجتماعية.
- عايز تشنير المجتمع!
- صــح .. عايــز أصحح مفهومات مجتمع متخلف .. فالمجتمع الذي يحكمه فــرد واحد بسلطات مطلقة ولا يملك حريته ولا اختياره ولا تقرير مصيره يبقي لازم ولا بد من تغيير منظومته السياسية والاجتماعية والاقتصادية.
- أنا عارف هدفك .. تخبّط المواعين في بعضها وتقعد تتفرج.
- هدفي لا تخبيط مواعين ولا فرجه .. هدفي أن لا نخلط بين الدين والمدني فالدين له مجاله الغيبي القدسي وللمدني دائرته العقلانية .. لا يتداخلان بل همــا فــي الغالب الأعم متنافران .. فمادة الدين غيبية أما المدني فمادته واقعية عقلانية لذلك فيجب أن لا نمنطق الدين أو ندخله لدائرة العقل حتى لا نــنكره وأيضاً لا نصبغ العقل بالصبغة الدينية حتى لا نهدمه .. وبالتالي نبقــي الدين بغيبياته والمدني بعقلانيته كل في دائرته متباعدان تماماً حتى يتعايشا سوياً فلا ننزع فرع منهما ونثبته في شجرة الآخر.
- كده تبقي وصلت لأخرك.

- لا مازال أمامي الكثير لأقوله.
- قل ولا تخشى ولا تخف ولا تهاب .. فقد أمنتك على حياتك.
- فهمت من حديثنا الذي استغرق أكثر من ساعة أنك مصر على تمديد رئاستك فترة خامسة رغم ما أثرته من اعتراضات وتحذيرات وما بذلته من محاولات لإثنائك عن خطوتك التي ستحول البلد إلي بركان يقذف حمم الغضب.
- حتى الآن وحتى هذه اللحظة أقول لك نعم.
- كما أنه قد تأكد لي أنك لن تلغي قانون الطوارئ أو تستبدل الدستور أو تحد من سلطاتك.
- بقائي واستمراري يمنع المتطرفين من القفز على الحكم.
- إذا كنت مصرا على الترشيح للرئاسة فالناس تطالبك بكشف حساب عن أعمالك موضحا الأسباب التى أدت بالمجتمع إلى هذه الحالة من التردى فقر وجوع وبطالة وغلاء وتلوث غذائى ومائى وهوائى وأخلاقى وانحطاط تعليمى وصحى وإهدار للرقعة الزراعية وفساد ذمم ورشوة ومحسوبية وإنعدام مساواة وإستفحال الأمية وزهايمر أصاب ذاكرة الأمة فى السياسة والاقتصاد فلم تعد تفرق بين الصح والغلط .. بين المبادئ والفهلوة.
- الناس أيضا تطالبك بتقديم إقرار عن ذمتك المالية خلال الثلاثين عاما الفائتة التى شغلت فيها منصب النائب والرئيس تثبت فى هذا الاقرار ما لك وما عليك شاملا كل الممتلكات فى الداخل والخارج سواء تمثلت فى عقارات أو أراضى .. قصورا كانت أو منتجعات أموالا سائلة أم سندات وأسهم وان تثبت فى هذا الإقرار أيضا مصدر تلك الثروات . أما إذا كنت رقيق الحال مثلى لاتملك شروى نقير فلن تكلف نفسك إثبات مصدر هذا الشروى النقير.

الناس تطالبك كذلك ان تحدد لها مصادر تمويل حملتك الانتخابية هل هى بمخصصات رئاسة الجمهورية ام من تبرعات أعوانك المخلصين ؟!

الناس تطالبك كذلك إلا تستغل أجهزة الإعلام فى الدعاية الانتخابية لحملتك وتنتظر منك تعهدا بإعطاء كل المرشحين فرصة متساوية فى الدعاية على شاشة التليفزيون والإذاعة وان يتم تخصيص مساحة إعلامية لكل مرشح تتساوى مع المساحة التى تستقطعها لنفسك .

التقطت أنفاسى ..عدت مستطردا :

لكن ما يشغلنى حقا كيف ستدير حملتك الانتخابية وأنت فى هذا البرج العاجى؟

- سؤال بايخ غير مفهوم .
- أقصد هل ستدير تلك الحملة من خلف زجاج مدرعة أم بارتداء قميص ضد الرصاص .
- كلام سخيف ليست له إجابة عندى .
- معنى هذا أنك ستنزل إلى الشارع وتختلط بالناس وتسير بين جموعهم وتخاطبهم وتحادثهم وهذا ما أشك فيه .
- لا يمنعنى عن الناس سوى الشديد القوى .
- فهمت!! .

- فهمت ماذا وإنت قاعد قدامى زى القزازا .
- فهمــت أن حملــتك الانتخابية ستدار بواسطة أعوانك بينما أنت تروح عن نفسك داخل قصرك .
- وفيها إيه هى أكل وللا بحلقة .
- إذن أمــام إصــرارك على ترشيح نفسك وعلى رفضك التغيير الذى يلهث الشعب فى طلبه فليس أمامي من وسيلةٍ لتحقيق كل ما حدثتك بشأنه سوي ترشيح نفسي لرئاسة الجمهورية منافساً لك.

ضحك الرئيس .. الضحكات غاضبة .. لها رنين أشبه برجع الصدي .. على ضفافها السخرية .. ربما الدهشة .. وبعد أن نامت الضحكات همهم الرئيس في حدة:

- ترشح نفسك قدامي أنا؟!
- أيوه أرشح نفسي قدامك ما الغرابة في ذلك هو أنا برشح نفسي قدام ربنا!
- لكننــي لــم أقصــر في خدمة المواطنين ولا في رعاية مصالحهم .. دا أنا مرضت بكافة الأمراض المستعصية نتيجة الجهد الذي بذلته حتى أوفر لهم حياة رغدة.
- المهــم عــندي النتيجة .. النظام ثبت فشله في تحقيق أولويات الحضارة والتحضــر وانتهــي بالإنســان المصــري إلى خمسين سنة ورا .. مغارة تسكنها العفاريت والأشباح.
- من أنت حتى تجرؤ على هذا الهذيان المنبطح؟ ناموسة أفعصها بصباعي.
- إننــي لم أشك لحظة أنك تستطيع سحقي من خلال سلطاتك المطلقة لكن أن تشــبهني ببعوضة فهي مسألة فيها إعادة نظر.. فالمبدع ليس بعوضة كل همها اللسع ومص الدماء. لكن ربما وصفك لمبدع بهذا الوصف يعبر عن نظرتك للمثقفين أمثالي من خلال ود مفقود وشك في نواياهم وعدم رضاء عــن منهجهم لذلك فلا غرابة أن تفضل لاعب كرة على مبدع بل وتؤازره وتشجعه وتصفق له وفي المقابل تسجن كاتبا لأنه تجرأ وانتقدك.
- هتبتدي تلبخ.
- أبــدا ســيدي الرئــيس فما أقوله تقرير لواقع يلمسه الجميع فبين الحاكم المطلــق وبين المثقفيــن هــوة شاسعــة لا يمكــن تجاوزها ربما لأنه لا يــريد أو لا يستطيع تفهم أهدافهم في الحريــة والمساواة والعدل ونظامك قــائم علــى الضد.. فالحرية منعدمة والمساواة مفتقدة والعدل غائب وهذه الــثقافة التــي أنتمي إليها أبعد ما تكون عن ثقافة العسكر التي تهدف إلى تعلــم القتل وتدرب عليه كوادرها حتى ولو ارتدت ثوب الدفاع عن النفس ولا يهــم مــن يكون القاتل ولا هوية المقتول ولا الأسباب أو الدوافع التي تدفع للقتل .. هذا القتل تعرضنا له في الحرب الثلاثية سنة ٥٦ وحرب بلد البــن سنة٦١ وحرب السبع ليالي سنة ٦٧ بقرارات رئاسية عشوائية .. قــررنا الانتحار وعندما حدث ذلك استعضنا عن سلاحنا بسلاح العدو لقتل مائــة وخمســون ألــف جــندي. حــتى حرب ٧٣ التي عبرنا فيها جدار المستحيل.وقتلنا فيها مئات من العدو استشهد منا الآلاف.
- خــلاص فهمنا وحفظنا أن مهنة القتل يمارسها العسكر سواء كان عدواً أو دفاعا عن النفس.. فيه حاجة تانية عايز تقولها .

- هــذا فــي زمن الحرب .. أما في السلم فتتمحور تلك المهنة من التصفية الجســدية إلي تدمير الإنسان من الداخل ويندرج تحتها صنوف الاضطهاد والتعذيــب والســجن والسحل والاعتقال والتخريب النفسي والإيذاء البدني والــتحرش السياســي وكثــير وكثير من تصنيفات اغتيال العقل والضمير والوجــدان نــص علــيها قانون الطوارئ والقوانين الاستثنائية ومارسها الــنظام مــن خلال سلطات الحاكم المطلقة وهي تعبر عن ثقافة الشمولية وقت السلم والتي عانينا منها طوال الخمسين عاما الماضية .. هذه الثقافة هــي العمــود الفقري لأي نظام عسكري لذلك يجب حتى يتم تغييرها تغيير الحكم العسكري بآخر يؤمن بثقافة الحرية .
- شــطحت قوى بأفكارك الحلزونية وتناسيت خبرة سنوات قضيتها متمرساً فــي العمل نائبا ورئيساً للجمهورية .. أقوم أسيبها كده تطير من إيدي زي الدخان دون الاستفادة منها.
- يــا سيدي الرئيس النظام العسكري مثل شجرة الصبار لا يرجي منها خيراً .. فقد قدمت كل ما عندك ولم يعد لديك ما تقدمه سوى ما يمن به الحرس القديــم علينــا مــن تقيــيد للحريات وتجويع ومرمطة للمواطنين وتكسير مجاديف سفينة الإصلاح دعني أصارحك عن أسباب إصرارك على التمسك بمنصبك حتى الوفاة .
- هيكون إيه يعني .. مصلحة الناس.
- لا يا سيدي بل الخوف من الزمن .
- بتكتب قصة ولـلا شعشعت في دماغك؟!
- لقــد عانيت سيدي الرئيس كثيراً في طفولتك وشبابك لذلك ترفض الخوض فــي الحديــث عن أسرتك التي كانت تعيش مثل آلاف الأسر المصرية حد الكفــاف وهذا في حد ذاته ليس عيباً يشين الإنسان ولا وصمة تصم حياته فقد عانيت مثلك والموت يختطف أمي وأنا في التاسعة من عمري وواجهت أياماً قاسية .. وقبلك عاش عبد الناصر حياة بائسة بعد أن فقد أمه وتزوج أبــوه وظل هائماً على وجهه يبحث عن مأوي قبل أن يستقر مع عمه في القاهــرة.. وما حدث له تكرر مع السادات.. فقد عاش طفولة خشنة تحت حــد الفقر وذاق الأمرين من شظف العيش والتشرد وهو يعمل تابعاً على ســيارة نقــل بعــد أن فصل من الجيش لاتهامه بالجاسوسية .. مثل هذه المعانــاة وتلــك المصــاعب غالبا ما تتحول إلي إدمان الخوف من تكرار حــدوث مشهد المعاناة القديم لذلك يصبح البديل هو التمسك بكل المكاسب التــي حصل عليها الإنسان لآخر نقطة في دمه .. ذلك هو التفسير المقبول لرفض حكامنا التخلي عن مناصبهم حتى الرمق الأخير.
- هتشتغل فيها نفساوي .. فاكر نفسك فرويد ؟!
- صــدقني ســيدي الرئــيس لو تخلصت من مخاوفك وقررت الاكتفاء بربع القــرن الــذي قضــيته في الحكم وأحللت ثقافة الحرية محل ثقافة العسكر فســنحملك علــى الأعــناق مهللين مكبرين لك لأنك ستكون الأب الروحي للديمقراطية.
- إنت رغاي ليه ؟ الموضوع دا إتكلمنا فيه قبل كده وقلت لك على قراري .. أنا قاعد على قلبكم لطولون.

- إذن ودون أن تحمل لي ضغينة استأذنك في الترشيح منافساً لك على كرسي الرئاسة.
- من حقك كمواطن ترشيح نفسك لا عايز استئذان ولا استمحان المهم تعدي بحر الشروط.
- يعني عايز تقيدني بسلاسل وتقول لي عدي .. أكيد هغرق.
- كل واحد يتحمل نتائج عملته السودة.
- دا تهديد مغلف بالسلوفان.
- لا تهديد ولا وعيد .. إنت وكل المرشحين مجرد كمبارس في تمثيلية المهم مين اللي يؤدي دور البطل.
- المواطن هو البطل في الأول وفي الآخر.
- بقول لك دور البطل مش المتفرج.
- يبقي ما فيش غيرك يقدر يؤدي الدور ببراعة.
- أكيد ودانك اتسدت.
- آه فهمت لجنة الانتخاب.
- أخيرا ربنا فرجها عليك.
- ويبقي لازمة الترشيح إيه لما هي مرسومة بالبرجل والمسطرة!
- فهمتني غلط .. هو مين في البلد يصلح رئيس جمهورية غيري.
- كثير .. وأنا أولهم.
- وآخرهم.
- إيه رأيك في أحمد زويل صاحب نوبل .. وللاّ فاروق الباز عالم الفضاء.
- مالهم دول بالسياسة.
- طلبت مني أسماء وأنا قلت لك .. يكون في علمك لو أحمد زويل أو الباز وافق على ترشيحه لرئاسة الجمهورية سأتنازل عن ترشيحي.
- للدرجة دي.
- وأكثر.
- معني كده إنهم أصلح منك.
- لأ.. معني كده إن أي واحد فيهم سيحقق ما أريده وأصبوا إليه من نشر ثقافة الحرية.
- إنت معاي وللاّ ضدي.
- معاك لو نفذت برنامجي الانتخابي.
- برنامج إيه يا أبو برنامج.. أنا برنامجي أقوي وأشد.
- شاور لي على فقرة منه.
- برنامجي الانتخابي معلن وموجود ومطبق كل يوم .. أعمالي هي برنامجي.
- معني كلامك إنه مقرر .. مكرر.
- صح .. مكرر زيماية القزاير.
- لكن يا ريس لقد ثبت فشل هذا البرنامج بكل المعايير الدولية والمحلية بدءا بالتعليم وانتهاءا بالتفريط في الأرض الزراعية ومرورا بالتلوث والفقر والأمية وتزايد السكان والغلاء القاسي والبطالة المتفشية وانتشار

السـرطان وهلـم جـرا.. لا شئ صح في البرنامج بعد أن انتشر الفساد والوساطة والمحسوبية .. وتضاربت البيانات.

- مش عايز أسمع كلام مرسل.
- يعني أعمل إيه .. تعالي معايا عشان تشوف بنفسك الأرض الزراعية التي التهمتها المباني وماء النيل المخلوط بمخلفات الصرف والمصانع ومرضي السرطان في مستشفي السرطان.. أما الفقر والأمية وتزايد السكان والغلاء الفاحش فتستطيع الرجوع لبيانات جهاز الإحصاء وأخيرا تضارب البيانات .. خلال شهرين وبالتحديد في ٣٠ يناير سنة ٢٠٠٥ قلت في تصريح عن احتمالات تغيير الدستور إنها دعوة باطلة وفي مارس اقترحت تعديل المادة ٧٦.. مـر شـهران فقط تحوّل خلالها البطلان إلي شرعية.. غيرت رأيك تسعين درجة.. بلدنا يا ريس بقت سداح مداح في عهدكم الميمون وبعد أن أثقلت الديون كاهل الميزانية التي بلغت طبقا لتقرير جهاز المحاسبات سنة ٢٠٠٥ ديـن داخلـي ٥٤٦ مليار جنيه ودين خارجي ٢٨,٥ مليار دولار ورغـم أن هذه الأرقام متواضعة مشكوك في صحتها إلا أنه بحسبة بسيطة نجـد أن مجموعهـا بالعملة المحلية ٧٦٠ مليار جنيه وبتوزيع هذا الدين علـى أفـراد الشعب يصبح نصيب الفرد الواحد في الدين حوالي ١٠٣٠٠ جنـيه وهذه هي نهاية مطاف برنامجك يا سيدي فقد تجاوزت ديونك ديون إسماعيل باشا الذي لعنت سلسفيل جدوده.
- كله كلام دفاتر!!
- وفـي مجـال تبريرك لرئاسة الحزب قلت " إنه من واقع معرفتك بتاريخنا والـتجارب المصرية السابقة اكتشفت أن بعدك عن الحزب يضعه في مهب الـريح وتوجه أعضاؤه للمصالح الشخصية .. وعجبي علي عصر أصبح فـيه الحاكم تميمة لحزب تعترف إنه بدونك لن تقوم له قائمة ولن يستطيع أن يقـف فـي مهب الريح بل وسيعيث رجاله في الحكم فسادا وإفسادا .. كـلام غريب بدأ تداوله هذه الأيام أن السلطة في النظم الديكتاتورية تمنع السـلطة مـن الانحراف أو أن السلطة تراقب نفسها.. عجبي !! إن حزب الوفـد لـم يكـن يترأسه الملك بل كان يناوئه وبعيد عنه بعد السماء عن الأرض ومـع ذلـك كـان شامخا .. القضية إذن ليست في رئاسة الحاكم للحـزب .. بـل فـي شعبيته ولأن الحزب الحاكم يفتقد لتلك الشعبية لذلك استعاض عنها بسلطات الحاكم المطلقة.

قاطعني الرئيس في حدة:

- خلاص فهمنا .. عدي بقي القنطرة.
- ليس بعد سيدي الرئيس .. إنك بهذا الاتجاه فقد أعلنت الحرب على فلسفة الحـيدة المفـروض اتباعها تجاه الأحزاب الأخرى بعد أن تحيزت بصورة فجة للحزب الديمقراطي وأنت تترأسه مع أن المفروض هو تحقيق التوازن بيـن الأحزاب لا أن تجامل حزبا على حساب آخر ذلك لأنك حاكم مصر .. أي حاكم لكل الأحزاب لا حاكم لحزب واحد.

قاطعني الرئيس للمرة الثانية في غضب شديد:

- لقد تجاوزت بحديثك فالحزب الوطني ليس حزباً إسرائيلياً.

- لـو كـان حزباً إسرائيلياً كان أرحم على الأقل كنا تعاملنا معا بهذه الصفة لكن المشكلة أنه حزب مصري له نفس الأهداف الإسرائيلية.
- إبتديت تخرف.
- الأهـداف واحـدة يـا ريس .. إسرائيل عايزه تستعمر الشعوب استعمار اسـتيطاني وهـو نفـس هدف الحزب .. استعمار استيطاني محلي لإرادة الشعب المصري.
- جيـت تكحلهـا عميتـها .. يقـي معقول تحط الحزب الوطني الديمقراطي المصري في سلة واحدة مع الاستعمار!
- بـل أكـثر مـن هـذا فهو أحد أسباب انهيارنا وهو يتبنى سياسة عقيمة ستنتهي بنا حتما إلي تفسخ حضارتنا.
- ونبيعها عند الفسخاني؟!

ضـحك الرئـيس .. توالت ضحكاته .. قال نكته .. لكنه غزني بمسار .. إلي هذا الحد يستخف حكامنا بتحذيراتنا .. بقضايا تشغلنا .. رددت عليه في ضيق مكتوم:

- حـتى لـو عرضـناها فـي دكان " جنينه " الفسخاني فلن يقبل أحد على شرائها.
- تضايقت !! لكن القافية جبكت.
- لست متضايقاً بل غاضباً فأنا لا أرص الكلام فوق طبلية أكل.. بل أعبر به عن مخاوفي.
- إغضب وللا اشرب من البحر.. أنا لا يهمني ولا يهزني كلامك.

احتوانـي الصـمت للحظـات حاولـت خلالها استنهاض ذاكرتي .. عدت بعدها مستطردا:

- يا ريس إن حضارتنا معرضة للسقوط العاجل إذا لم نتدارك الموقف بحكمة وسـرعة .. فقد أرجع " ول ديورانت " انهيار الحضارات لأسباب عدة من أهمهـا تبوير الأرض .. واستنفاذ الموارد الطبيعية .. واعتماد الناس في الحصـول علـى قوتهم من الخارج .. وانحلال عقلي وخلقي .. و ازدراء الكفاح والعمل .. وضعف الزعامة .. وتركز الثروة في يد طبقة .. ويكفي سبب واحد من كل هذه الأسباب لإحداث الانهيار.
- الكلام دا كان زمان لكن كل شئ في تطور.
- كـان زمـان وأيضاً الآن لأننا إذا ما حاولنا عقد مقارنة بين ما حذر منه " ول ديورانـت " وبيـن حالـنا لنـتعرف على مدي الخطورة التي تواجه مجتمعـنا نجـد إنـنا قمنا بتبوير الأرض الزراعية بإقامة المباني والكتل الخرسـانية على ما يقرب من ثلث مساحتها وبالتالي بدأنا نعتمد في تدبير قوتنا على الاستيراد وفي الطريق لاستنفاذ كل مواردنا من البترول والغاز ودخلنا مرحلة الانحلال العقلي والخلقي بالانغماس في خرافة وغيبية الدين .. فاحـتقرنا العمل وازدرينا الكفاح وبعد أن أصاب العقم بذرة أكفاء البشر وتحولـت زعامتـنا إلـي قوالـب ذره لا تصلح إلا للوقيد قاد مسيرتنا إما مصـلحجية أو متآمريـن علـى الحرية وأخيرا وهو أحد الأسباب المهمة تركيز الثروة في أيدي مجموعة من اللصوص الرأسماليين.

قاطعني الرئيس قائلا:

- إن ما ذكرته مجرد تكهنات.

- أضف إلي ذلك كله الهم الأعظم لشعبنا كما تعودت أن تصفه في بعض أحاديثك ونحن نستقبل كل عام مليون ومائتي طفل حتى أصبح شماعة لكل أخطاء النظام لكن دعني أسألك أين كنت خلال أربعة وعشرين عاما إلا قليلا فترة حكمك والمشكلة تتفاقم يوما بعد يوم ولماذا تركتها للصدفة- منظومة حكمك- دون حل رغم أن مفتاح حلها معروف للخاصة والعامة إما تحديد النسل أو استثمار القوة البشرية لكن على ما يظهر فقد فشل النظام ومعه الحزب في تخطي المشكلة ربما لأنه يريد أن يحكم مجموعة جرذان مستضعفة هزيلة لأن الأسود لا ترضي المهانة والإذلال.
- تمام بتتكلم زي المهاويس بتوع كفاية.
- الذين يتبنون حركة كفاية وطنيون مخلصون دعوتهم قائمة على رفض ما هو كائن سياسيا .. لا لتمديد فترة الرئاسة .. لا للتوريث .. لا لحالة الطوارئ .. لا للقوانين الاستثنائية وهي دعوة وطنية لحركة شعبية لكن يعيبها إنها تتجه للتغيير مرورا بالرفض .. فترقض الأطلال أملاً في الترميم .. لذلك كان لا بد من التقدم خطوة أخري نحو المستقبل من خلال حركة جديدة لا تقوم فلسفتها على الرفض وإعادة الترميم بل تتبنى فلسفة الترك ثم البناء.. إهمال الأطلال وتركها على حالتها القبيحة المزرية فلا جدوي من هدم بعض أجزائها وترميم الباقي على نفس الأساسات التي أقيمت منذ نصف قرن لأن مثل هذا العمل المضني قد يستغرق سنوات وسنوات ونحن ننظر في كيفية التعامل مع الأطلال هل نعيد ترميم ما أفسده الدهر ونفتح نافذة أم نهدم جدران الأطلال؟ فإذا أعدنا ترميمها فقد تتعرض للانهيار وإذا فتحنا نافذة تدخل منها الشمس فماذا يستفيد العميان؟! إما إذا هدمنا الجدران فعلينا أن نتأكد من سلامة الأساسات قبل أن نقيم عليها البنيان فإذا كانت قد تآكلت وتملحت بفعل الرطوبة ومخلفات الصرف فعلينا أن نحفر الأرض ونزيلها ثم نجس التربة للتأكد من صلاحيتها لصب الأساسات الجديدة وبهذا تضيع جهودنا بين شد وجذب واحتمالات الفشل والنجاح وسفسطة عقيمة لا طائل من ورائها حول الأولويات والضوابط والمحظورات وفي النهاية تتطاير أحلامنا إلي سراب عندما يتضح لنا أن الأرض إسفنجية هشة لا تصلح للبناء .. لذلك فالأفضل لنا أن نتخير على خريطة الحرية الشاسعة الأبعاد موقعاً لم يمسسه حاكم بالتخريب أو التجريب نبني عليه قصر أحلامنا الجديد طابقا..طابقا.. دون أن نستنفذ جهودنا في هدم الأطلال ثم إعادة بناء ما هدم. دعوتنا لا تنصب على ترميم الماضي الكئيب بل تركه وإهماله .. هدفنا في النهاية هو استبدال الثقافة الشمولية بثقافة الحرية.. هذه هي الخطوة الأولي ويلزم لنجاحها وضع دستور جديد يعبر بصدق وأمانة عن هذه الثقافة لا مجرد تغيير مادة وحيدة يتيمة يبقي معها الثوب القديم البالي على حاله يكشف عوراتنا للعين الراصدة .. دستور جديد فلسفته نابعة من كفالة حق الاختيار للمواطن لا يهم بعد ذلك التفاصيل طالما أنها لم تخرج عن دائرة هذا الحق..هذه الفسلفة تصب في الحتمية..أي لا بد .. لامناص .. لا محيد.
- لابد من كفالة حرية التعبير وإنشاء الصحف وتكوين الأحزاب والنقابات والجمعيات الأهلية.

- لا بد من تطبيق مبدأ الفصل بين السلطات وتحديد اختصاصات رئيس الجمهورية بما لا يخل بهذا المبدأ وبما لا يسمح له بالتدخل في أعمال السلطة القضائية والتشريعية وبما يضمن استقلالهما.
- لا بد من تحديد فترات الرئاسة بمدتين.
- لا بد من تحقيق المساواة والعدل بين المواطنين.
- لا بد من تمثيل الأقباط والشباب والمرأة في مجلسي الشعب والشورى والمجالس المحلية تمثيلا عادلا.
- لا بد من النص على تحريم البناء على الأرض الزراعية.
- لا بد من النص على حظر تلويث البيئة.
- لا بد من النص على تحديد النسل.
- لابد من النص على قانون للأحوال الشخصية يحقق المساواة بين الرجل والمرأة.

هذه الحركة ستضم مجموعة من المثقفين يمثلون صفوة المجتمع د. أحمد زويل د. فاروق الباز .. سلامة أحمد سلامة د. جودت الملط .. د. احمد عكاشة.مرتضي منصور .. لبيب السباعي .. حسين فهمي .. سهير حلمي .. عمرو فهمي .. د.يوسف بطرس غالي .. د. عبد العزيز حمودة .. مختار سلامة.. خالد علاء .. د. حازم الببلاوى .. وائل عبد الفتاح .. محمد الباز .. إبراهيم عيسي .. يحيي الفخراني .. عاطف الغمري .. مني رجب .. د. سعد الدين إبراهيم .. طلعت رضوان .. أميرة بهي الدين .. عبد الله السناوي .. مصطفي مباشر هذه هي القائمة الأولي التي تم ترشيحها بدقة سيتلوها بعد ذلك أسماء أخري لامعة في سماء الصحافة والفن والسياسة والإعلام والأعمال.

قاطعني الرئيس قائلا:

- خلصت .. عشان فيه مفاجأة في انتظارك ربما لن تقوي على صدمتها.
- عارفها .. بمجرد خروجي من القصر سيتم اعتقالي.
- لا بد أن تعي جيدا أنني أحب وطني والناس وأتمني لهم الخير وقد فعلت لهم ما يمليه على ضميري.. ولكنني أجد لزاما على أن أستريح.
- يعمر بيتك!!
- لذلك فقد قررت بكامل إرادتي أن أسلم الراية لغيري أما أنت فأعدك أنه لن يمسسك سوء رغم تجاوزاتك لأنه تأكد لي أننا بشر وأنك ما واجهتني بما قلت إلا لأنك تعشق وطنك عشقي له .. وإننا نحن الاثنين متيمان به .. فقد أعطانا الله الكثير والكثير جدا .. وثق تماما يا ضمير أن الحرية التي اقتطعتها لنفسك وأنت تناقشني لن تسلب منك أو من غيرك.. فالحاكم ليس محصنا ضد النقد لكن في أوقات كثيرة كان نقدك لاذعا وتحليلك للأحداث موجعا رغم هذا فقد أعجبني كثيرا برنامجك " لا بد " وأتمني أن يطول بي العمر وأراه مخطوطا على خريطة الواقع .. لكن الأعمار بيد الله ولا يعلم الإنسان متى أو في أي أرض يموت.
- أعذرني يا ريس فما قصدت التجاوز أو الإساءة لرمز مصر الذي نعتز به ونعشقه .. لكنها لم تكن سوي رحلة تنظير لواقعنا المؤلم المخزي .. من خلال مناظرة بين مرشحين اثنين للرئاسة لذلك كان لا بد لي أن أفتش وأقيم وأحلل وأظهر الصورة الضبابية التي يعيشها الشعب المصري بعيدا عن النفاق والتزويق .. والدنيا ربيع .. وكل شيء تمام .. لكن ما أثلج صدري هذه النتيجة الرائعة التي توصلت إليها وأنت تقرر تسليم الراية لغيرك والتي ما كانت لتتحقق دون هذا النقاش البناء.
- صدّقت ؟!

رقم الإيداع
٩١٨١ - ٢٠٠٥

مطبعة النهضة العربية
١٢ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة
ت : ٥٩٠٦٧٨٠


مطبعة النهضة العربية
١٣ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة
ت / ٥٩٠٦٧٨٠